الفصل الأول

الفرق الإسلامية

إن هذا الفصل يختص بالحديث فقط عن الفرق الإسلامية، وسوف أتناولها أولاً لأنها هي الأسبق تاريخياً، أما الجماعات فقد ظهرت في وقت لاحق، ولا شك أن الخلافة الإسلامية كانت الأساس والمحور الرئيسي الذي دارت حوله جل الصراعات والخلافات، التي أفضت في النهاية إلى ظهور ما يعرف بالفرق، وبنظرة تاريخية متفحصة نستطيع أن نجزم أن الخوارج هم أصحاب الشرارة الأولى في شيوع الفرق في شتى البقاع الإسلامية، وقد حدث ذلك في عهد خلافة الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لكن المتأمل بدقة في وقائع التاريخ يجد لهم أصولاً منذ عهد النبوة حين طعن عبدالله ذو الخويصرة التميمي بقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: هذه قِسمة ما أُريد بها وجه الله، وقال أيضاً، اعدل يا رسول الله، فقال الصادق الأمين : " ويلك، إن لم أعدل فمن يعدل"[1].

ثمّ قال فيه : "يخرج من ضئضئ هذا قوم يحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية" أنظر كامل القصّة في البخاري ومسلم [2].

وأمّا من حيث كونها فرقة لها تجمّع وعقائد وشوكة، فقد ظهر هذا بعد التحكيم الذي حدث بطلب منهم " وكانوا في جيش عليّ - رضي الله عنه - وطالبوه بالتحكيم" بين عليّ ومعاوية رضوان الله عليهم جميعاً، ثمّ قاتلهم عليّ - رضي الله عنه - حتى كان قتله رضي الله عنه على أيديهم الخبيثة.

---

[1]- رواه البخاري (٣٦١٠) ، ومسلم (١٠٦٤) .

[2]- أخرجه البخاري (٧٤٣٢) ، ومسلم (١٠٦٤) واللفظ له .

الخوارج وأسباب خروجهم:

لعل من الطبيعي أن تكون هناك أسباب قوية، كانت هي العامل الرئيسي في خروج هذه الجماعة عن جماعة المسلمين، ونستطيع أن نجمل هذه الأسباب على النحو التالي :

١- إنهم تعاملوا بشدة متناهية مع أمر الخلافة؛ حيث إنهم قد وضعوا شروطاً قاسية تتنافى مع الواقع الذي كان متعارف عليه.

٢- بالرغم من أنّ الخوارج هم من أوائل من طالبوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالعمل بمبدأ التحكيم، لكنهم في النهاية قد رفضوا هذه المسألة رفضاً قاطعاً .

٣- بروز العصبيّة القبليّة؛ حيث إنّ معظم الخوارج من ربيعة، الذين كانوا أصحاب العداء التقليدي لمُضر، والتي منها قريش التي جعل التشريع لها وحدها حقّ استلام منصب الأمير العام أو الخليفة، فساعدت شريعة الإسلام والتلاحم الأخويّ بينهم برجوعهم إلى الوراء، وإشعال أحقاد الجاهليّة مرّة ثانية.

تلك هي أبرز الأسباب التي ترتب عليها ظهور ما يعرف بالخوارج، كان ذلك بعد أن رأى معاوية - رضي الله عنه – أنّ الغلبة ستكون لعلي - رضي الله عنه - فأمر جنوده برفع المصاحف، وطلبوا تحكيم كتاب الله، ورضي علي بالتحكيم، ولم يرض به فريق من المحاربين معه، وقالوا: لا نحكم أحداً في دين الله (لا حكم إلا لله)،فانشقوا على الإمام علي - رضي الله عنه - وسرعان ما نهض إلى محاربتهم وإلحاق الهزيمة بهم .

مبادئهم:

١- - يجب أن تكون الخلافة باختيار حر من المسلمين، وإذا اختير إمام لها فلا يصح أن يتنازل عنها أو يُحكم فيها، وليس بالضروري أن يكون الإمام من قريش، ويجب أن يخضع لما أمر الله، وإلا وجب عزله.

٢- إن الإيمان ليس اعتقاداً، وإنما هو اعتقاد وعمل، ومرتكب الكبيرة كافر.

تلك هي المبادئ التي على أثرها تكونت عقيدتهم الفاسدة، ومِن أشهر مَن عُرف من رجالهم عبد الله الراسبي، ونافع بن الأزرق، ونجد بن عامر.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة: هل للخوارج كبقية معظم الفرق الإسلامية وجود ملموس في عصرنا الحاضر؟ وللإجابة علي هذا السؤال أقول: إن الخوارج قد تشعبوا إلى فرق كثيرة، حتى إننا نجد العلماءَ لم يستطيعوا تحديد عددها؛ وذلك لاندثار معظمها، ومع اندثارها اندثرت معالمها.

ومن أشهر الفرق التي حفظ لنا التاريخ بعض أسمائها فرق المحكِّمة، والحروريّة، والأزارقة، والنجدات، وهذه كلها اندثرت، ولم يبقَ إلى يومنا هذا إلا فرقة واحدة منها هي فرقة الإباضية.

ولذا فالحديث عنها يمكننا من الإفادة بهذه الدراسة كتاريخ مضى وحاضر شاهد، ولهذا سنسلط الأضواء على دراسة هذه الفرقة، ولهذا سنسلط البحث على هذه الفرقة الضالة.

❄❄❄❄❄❄❄❄❄

الإباضية:

هي من الفرق التي تشعبت عن الخوارج، وترجع نسبتها كما تشير مصادرهم نسبة إلى أن جابر بن زيد الأزدي هو الزعيم لهم لا يقدّمون عليه أحداً، ولكنّ النسبة جاءت من عبدالله بن أباض المري، والذي ينسب إلى بني تميم، وهو تابعي عاصر معاوية وابن الزبير - رضوان الله عليهما - وله مواقف ومواجهات - حسبما زعموا - مع الحكّام.

ونجد لهذه الفرقة وجودًا ملموساً في عصرنا الحاضر حيث إنهم ينتشرون في بعض البلاد العربية والإسلامية كالجزائر، وتونس، وليبيا، وتنزانيا، بل إنهم يتجاوزن نسبة سبعين في المائة من سكان سلطنة عُمان، بل إنه يعد المذهب الرسمي فيها.

عقيدتها:

لكن ما يهمنا هنا هو معرفة العقيدة التي قام عليها أساس تلك الفرقة، واتخذوه سبيلا لنشر دعوتهم.

- إن الخوارج في مجملهم قد اجتمعوا على القول بخلق القرآن، وهم بذلك ينتزعون القداسة عن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، شأنه في ذلك شأن معظم الفرق الضالة.

- التبرؤ من عليّ - رضي الله عنه - والحكم بكفره، وكذلك عثمان ومعاوية ويتبرؤون من كثيرٍ من الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - ولعن الله من انتقصهم، ولهذا سمّاهم أهل السنّة بالنواصب، لأنّهم ناصبوا العداء لعليّ رضي الله عنه وغيره من الصحابة.

- يقومون بتحريف أسماء الله وصفاته، فهم بهذا جهميّون يقولون بمقالة التحريف لصفات الله سبحانه، والله يقول: " ولله الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" [١].

- لا يقولون بصفة الاستواء على العرش، بل يحرفونها إلى صفة الاستيلاء، وهذا لجهلهم بالله تعالى، وإلا فمعنى الاستيلاء أنّ هناك من خاصم الله وأخذ عرشه ثمّ حاربه الله واستولى على العرش مرة أخرى ورده إلى ملكه، قال عز وجل: " سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا "[٢] ، وقوله تعالى : " قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا"[٣].

- نفي رؤية الله - سبحانه وتعالى - في الآخرة، وأين النعيم من رؤية الله في الجنّة وهو أعظم النعيم عند المؤمنين يوم القيامة، والله يقول عزوجل" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " [٤].

- الكثير منهم لا يؤمن بعذاب القبر، وهو من عقائد أهل السنّة الثابتة بالقرآن والسنّة المتواترة، قال تعالى:

" النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب " [٥]، وجهنّم ليس فيها نهار ولا ليل، فأثبتت هذه الآية أنّ العذاب قبل يوم القيامة، وهذا لا يكون إلا في القبر وعالم البرزخ.

١- سورة الأعراف آية (١٨٠) .
٢- سورة الإسراء آية (٤٣) .
٣- سورة الإسراء آية (٤٢) .
٤- سورة القيامة الآيات (٢٢- ٢٣) .
٥- سورة غافر آية (٤٦) .

- لا يثبتون الشفاعة إلا للمتقين، أمّا العصاة فلا شفاعة لهم، وبهذا ينفون الشفاعة عن أنفسهم ويشهدون على أنفسهم بالحرمان من شفاعة الشافعين.

- يقولون بفسق أصحاب المعاصي والكبائر في الدنيا، وبخلودهم في النار بالآخرة كالكفّار، وهم بذلك يتشابهون مع المعتزلة.

إلى غير ذلك من عقائدهم الفاسدة كإنكار الميزان، والصراط، والقول بالتقية، خلافاً لجميع فرق الخوارج.

ولا يعتمدون من السنّة إلاّ ما جاء عن طريق زعمائهم فحسب، وبالتالي لم يقبلوا الكثير من الأحاديث بل ردّوها.

وأشير هنا إلى ملاحظه مهمة تتمثل بأن السر في بقاء تلك الفرقة الفاسدة حتى عصرنا الحاضر هو أنهم يخفون عقائدهم إذا ظهر عليهم الأعداء، ولذا عندما كنت أتقابل مع أحد الأشقاء العمانيين المنتسبين لهذه الفرقة يُنكر كل ما سبق ويرى أنه ادعاء وكذب وافتراء، لكن بالطبع عقائدهم لا تُخفى على أحد.

نظرة الخوارج إلى المسلمين:

مما سبق يتضح أنّ الخوارج يختلفون اختلافا جوهرياً عن غيرهم من المسلمين أصحاب النهج الصحيح الذي توارثوه عن السلف الصالح، وبالتالي كانت نظرة الخوارج إلى غيرهم من المسلمين نظرة بُغض، حيث إنهم يرونهم على غيرالهدى والدين، بل إن المغالين منهميرون، كفر مَن خالفهم بل إنهم يكفّرون الأطفال أيضا، مستحلين الدماء والأموال، قائلين: بكفر الرعية إذا كفر الحاكم.

وهذا على العكس من الإباضية الذين نراهم أقلَّ تطرفاً؛ فإنّهم يستحلّون دماء المخالفين إذا كان لهم إمام، وكذلك لا يحكمون بكفر الأطفال من المسلمين ويتولّونهم، ويتوقّفون في أطفال المشركين.[1]

❄❄❄❄❄❄❄❄❄

[1]- الملل والنحل (١٣٥/١)

الشيعة:

كان بديهياً بعد أن وجدنا الخوارج وقد قاموا بالخروج عن الإمام علي – كّرم الله وجهه - وكما يقول المثل السائر: لكل فعل رد فعل، ومن هنا وجدنا فرقة مقابلة جعلت من نفسها منبراً للدفاع ولنصرة الإمام علي- كرم الله وجهه- وهم ما يعرفون بالشيعة، وكما هو واضح من التسمية فإنّ لها معنىً واضحًا ومحددًا.

مبادئ الشيعة:

١- إن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز للنبي إغفالها، بل يجب عليه تعيين إمام لهم، يكون معصوماً من الكبائر والصغائر.

٢- إنهم يقولون بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد قام بتعيين علياً للخلافة مستشهدين في ذلك بنصوص ينقلونها ويقومون بتأويلها، مبتعدين في ذلك عن أهل الشريعة والحديث الصحيح، ومن هنا نشأت فكرة الوصيّة ولُقب عليّ بالوصيّ، فهو إمام بالنص لا بالانتخاب، وقد أوصى علي لمن بعده، وهكذا على كل إمام أن يوصي لمن بعده.

٣- القول بأن عليّ - رضي الله عنه - هو أفضل الخلق في الدنيا والآخرة بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فمن عاداه أو حاربه فهو عدوّ الله إلا إن ثبتت توبته، ومات على حبه.

ولم يكن الشيعة على درجة واحدة، بل منهم المغالي والمقتصد، وقد اقتصر المعتدلون على تفضيله على بقية الصحابة من غير تكفير أو تفسيق لأحد، واعترفوا بصحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وقالوا ليس بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وبين علي - رضي الله عنه - إلا مرتبة النبوة، وأعطيا علياً ما عداها من

الفضل المشترك، أما المغالون المتطرفون فلم يكتفوا بتفضيله على الخلفاء وعصمته، بل رفعوه إلى مرتبة النبوة، ومنهم من ألهه، أي زعم حلول الإله فيه، ومنهم من قال: كل روح إمام حلت في الألوهية تنتقل إلى الإمام الذي يليه.

٤- قولهم بالبداء على الله تعالى، وقد تنزه الله عن ذلك.

وقد كان التشيعُ أرضًا خصبةً لظهور القول بالرجعة، والحلول والتناسخ، والتجسيم والتشبيه، وعدم ختم النبوة، مما فتح الباب لانبثاق فرق أخرى عنها، والحق الذي لا مراء فيه أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من يريد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومَن يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها في الإسلام، ومَن يريد استقلال بلاده والخروج على الدولة الإسلامية، كل هؤلاء كانوا يتخذون حبَّ آل البيت سِتاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم.

تلك هي أبرز المبادئ التي ارتكز عليها الفكر الشيعي، لكن الأمر الذي يثير الانتباه والعجب، أن هذا الفكر قد أخذ في التشعب والتنوع حتى رأينا كثيرًا من الفرق والجماعات التي أخذت تنتشر في بقاع الأرض، تحمل بين طياتها مُسمياتٍ مختلفة ومبادئَ وأفكارًا تقترب وتبتعد عن الأفكار التي عرفناها سابقاً عن الفكر الشيعي في بدايته، ويبدو أن السياسة والفكر الغربي قد لعب دوراً بارزاً في تفرع الفكر الشيعي كما نراه في الفرق التالية على النحو التالي:

الإمامية (الاثنا عشرية) :

نصل الآن إلى أول الفرق التي تشعبت عن الفكر الشيعي، وهي فرقة الاثنا عشرية أو الإمامية، وقد لُقبوا بهذا الاسم (الإمامية) لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم، وسُمُّوا (الاثني عشرية) لأنهم قالوا باثني عشر إمامًا دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم.

كما أنهم القسم المقابل لأهل السنة والجماعة في فكرهم وآرائهم المتميزة، وهم يعملون لنشر فكرهم ليعم العالم الإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

الاثنا عشر إمامًا الذين يتخذهم الإمامية أئمة لهم يتسلسلون على النحو التالي:

١- علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الذي يلقبونه بالمرتضى رابع الخلفاء الراشدين، وصهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد مات غيلةً حينما أقدم الخارجي عبد الرحمن بن ملجم على قتله في مسجد الكوفة في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ.

٢- الحسن بن علي - رضي الله عنهما - ويلقبونه بالمجتبى (٣ ٥٠هـ)..

٣- الحسين بن علي - رضي الله عنهما – ويلقبونه بالشهيد (٤ ٦١هـ).

٤- علي زين العابدين بن الحسين (٣٨ ٩٥ هـ) ويلقبونه بالسَّجَّاد.

٥- محمد الباقر بن علي زين العابدين (٥٧ ١١٤هـ) ويلقبونه بالباقر.

٦- جعفر الصادق بن محمد الباقر (٨٣ ١٤٨هـ) ويلقبونه بالصادق.

٧- موسى الكاظم بن جعفر الصادق (١٢٨ ١٨٣هـ) ويلقبونه بالكاظم.

٨- علي الرضا بن موسى الكاظم (١٤٨ ٢٠٣هـ) ويلقبونه بالرضي.

٩- محمد الجواد بن علي الرضا (١٩٥ ٢٢٠هـ) ويلقبونه بالتقي.

١٠- علي الهادي بن محمد الجواد (٢١٢ ٢٥٤هـ) ويلقبونه بالنقي.

١١- الحسن العسكري بن علي عبد الهادي (٢٣٢ ٢٦٠هـ) ويلقبونه بالزكي.

١٢- محمد المهدي بن الحسن العسكري (٢٥٦هـ ...) ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر.

يزعمون بأن الإمام الثاني عشر قد دخل سردابًا في دار أبيه بسامراء ولم يعد، وقد اختلفوا في سِنّه وقت اختفائه فقيل أربع سنوات، وقيل ثماني سنوات، غير أن معظم الباحثين يذهبون إلى أنه غير موجود أصلاً وأنه من اختراعات الشيعة ويطلقون عليه لقب (المعدوم أو الموهوم)

- من شخصياتهم البارزة تاريخيًّا عبد الله بن سبأ، وهو يهودي من اليمن.
- منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي.
- الكُلَيني صاحب كتاب الكافي.
- الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي.
- آية الله المامقاني صاحب كتاب تنقيح المقال في أحوال الرجال.
- أبو جعفر الطوسي صاحب كتاب تهذيب الأحكام.
- آية الله الخميني، وحسن نصر الله أمين عام حزب الله من رجالات الشيعة المعاصرين.

معتقداتهم:

لقد قام فكر الإمامية على أفكار ومعتقدات محددة تكمن في المبادئ التالية:

١- أن الإمامة تكون بالنص، إذ يجب أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق بالعين لا بالوصف، وأن الإمامة من الأمور المهمة التي لا يجوز أن يفارق النبي - صلى الله عليه وسلم – الأمة ويتركها وقفاً يرى كل واحد منهم رأيًا، بل يجب أن يعين شخصًا هو المرجوع إليه والمعوَّل عليه.

ومن ذلك فإنهم يستدلون على إمامة علي - كرم الله وجهه - لقولهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد نص عليه نصًّا ظاهرًا بحادثة مزعومة تسمى (غدير خم)، لا نجد لها إسناداً صحيحاً عند أهل السنة والحديث، جاعلين من تلك الحادثة التي يقولون بأنها قد حدثت في يوم الثامن عشر من ذي الحجة عيداً يسمى بعيد غدير خم وهو أهم عندهم من عيد الفطر وعيد الأضحى.

٢- وفقاً لما رأيناه في المبدأ الأول فإنهم يقولون بأن الإمام علي - كرم الله وجهه قد نص على ولديه الحسن والحسين - رضي الله عنهما – وهكذا فكل إمام يعين الإمام الذي يليه بوصية منه، ويسمونهم الأوصياء.

٣- يرون أن كل الأئمة معصومون عن الخطأ والنسيان، وعن اقتراف الكبائر والصغائر.

٤- العلم اللدنّي: حيث إنهم يرون أن هؤلاء الأئمة قد أودع الله فيهم هذا العلم من لدن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما يكمل الشريعة، وبالتالي فليس بينهم وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - فرقاً سوى أن النبي يوحى إليه وأنه قد ائتمنهم على أسرار الشريعة؛ ليبينوا للناس ما يقتضيه زمانهم.

٥- القول بأنه من الجائز أن تكون لهؤلاء الأئمة بعض الأمور الخارقة للعادات وهم يطلقون عليها معجزات تجري على أيدي هؤلاء الأئمة، حتى إنه لم ينص عليه نصاً واضحًا.

٦- معتقد الغَيبة: حيث إنهم يرون أن الزمان لا يخلو من حجة لله عقلاً وشرعًا، ويترتب على ذلك أن الإمام الثاني عشر قد غاب في سردابه، كما زعموا، وأن له غيبة صغرى وغيبة كبرى، وهذه بالطبع خرافة يمكن أن نعدها من قبيل الأساطير.

٧- أن الحسن العسكري سيعود في آخر الزمان عندما يأذن الله له بالخروج وهو ما يعرف بالرجعة، وكان بعضهم يقف بعد صلاة المغرب بباب السرداب وقد قدموا مركبًا، فيهتفون باسمه، ويدعونه للخروج، حتى تشتبك النجوم، ثم ينصرفون ويرجئون الأمر إلى الليلة التالية، ويقولون بأنه حين عودته سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا، وسيقتص من خصوم الشيعة على مدار التاريخ، ولقد قالت الإمامية قاطبة بالرجعة، وقالت بعض فرقهم الأخرى برجعة بعض الأموات.

٨- التقية: وأراه من أخطر المبادئ التي يصلون من خلالها إلى نشر أفكارهم الهدّامة، وهي عندهم أصلٌ من أصول الدين، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة، وهي واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله - تعالى - وعن دين الإمامية، كما يستدلون على ذلك بقوله تعالى: "إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً " (١)، وينسبون إلى أبي جعفر الإمام الخامس قوله: "التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له"، وهم يتوسعون في مفهوم التقية إلى حد كبير.

٩- المتعة: حيث إنهم يرون بأن متعة النساء خير العادات، وأفضل القربات، مستدلين على ذلك بقوله تعالى: "فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ". (٢) ، وقد حرم الإسلام الحنيف هذا الزواج الذي تشترط فيه مدة محدودة، فيما يشترط معظم أهل السنة وجوب استحضار نية التأبيد، ولزواج المتعة آثار سلبية كثيرة على المجتمع تبرر تحريمه.

١٠- تحريف القرآن؛ حيث يوجد عندهم مصحفاً يسمى بمصحف فاطمة، وهو الأساس والصحيح عندهم مرتكزين على قول جعفر الصادق: " وإن عندنا

١- سورة آل عمران آية (٢٨) .
٢- سورة النساء آية (٢٤) .

لمصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه حرف واحد من قرآنكم" ([1]).

١١- البراءة : وهو مبدأ كثيرًا ما يصرحون به؛ حيث يتبرؤون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم -ناعتين إياهم بأقبح الصفات، وأذم الأقوال، مدعين أنهم قد قاموا باغتصاب الخلافة من الإمام علي - رضي الله عنه - الذي هو أحق منهم بها، ولذا يسمون بالرافضة لرفضهم خلافتهم، ليس هذا فحسب بل إنهم يبدؤون بلعن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - بدل التسمية في كل أمرٍ ذي بال، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن، ولا يتورعون عن النيل من أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها وأرضاها .

١٢- أن البعض من هؤلاء الإمامية قد وصل بهم الحال إلى المغالاة في شخصية الإمام علي - رضي الله عنه - إلى الدرجة التي رفعوه فيها إلى مرتبة الألوهية كالسبئية، وبعضهم قالوا: بأن جبريل قد أخطأ في الرسالة فنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - بدلاً من أن ينزل على علي لأن عليًّا يُشبه النبي - صلى الله عليه وسلم - كما يشبه الغرابُ الغرابَ ولذلك سُموا بالغرابية.

١٣- ومن الأمور التي تحظى عندهم باهتمام شديد ذاك اليوم الذي يسمى بعيد النيروز، وهو بالطبع من أعياد الفرس، لكن بعضهم يقول: إن غسل يوم النيروز سُنة، كما أن لهم يوماً يقيمون فيه عيداً وهو يوم اليوم التاسع من ربيع الأول، حيث هو اليوم الذي قَتَلَ فيه أبو لؤلؤة المجوسي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - ملقبين إياه بعيد بابا شجاع الدين، حيث صنعوا له مقاماً في إيران، يذهبون إليه ويحتفلون به كل عام.

---

[1]- ينكر بعض الشيعة المعاصرون مصحف فاطمة والبراءة من الخلفاء وبعض الأمور الأخرى التي وردت في هذا التعريف ، لكن هذه موجودة في كتبهم، ولم يتبرأ منها علماؤهم على رؤوس الأشهاد وبين الشيعة أنفسهم ، مما يوحي أن هذا الإنكار هو من باب التُقية ، التي يطبقونها مع الفرق الإسلامية الأخرى، مثل التظاهر بأداء بعض العبادات علانية ومخالفتها سراً .

١٤- حفلات العزاء والنياحة والجزع وتصوير الصور وضرب الصدور، وكثير من الأفعال المحرمة التي تصدر عنهم في العشر الأول من محرم، معتقدين بأن ذلك قربة إلى الله– تعالى - وأن ذلك يكفر سيئاتِهم وذنوبَهم، ومن يزورهم في المشاهد المقدسة في كربلاء والنجف فسيرَى من ذلك العجب العجاب.

تلك هي أبرز الأفكار والمعتقدات التي بُني عليها الفكر الإمامي أو الاثني عشرية ولا شك أن هذا الفكر له أصول وجذور ومعتقدات من أبرزها :

١- تلك المعتقدات الفارسية حيث إن الشيعة يدينون للفرس بالملك والوراثة، وبالتالي فليس غريبًا أن نجد الفرس يساهمون في انتشار هذا الفكر انتقاماً من الإسلام، الذي كسر شوكتهم، باسم الإسلام ذاته.
٢- كما إنه لا يمكن أن ننكر أن للمعتقدات الوافدة من الديانات المنتشرة في القارة الأسيوية كالبوذية والمانوية والبرهمية أثراً واضحاً في الفكر الإمامي؛ حيث وجدنا بينهم تمازجاً أدّى في النهاية إلى القول بالتناسخ وبالحلول.
٣- كما كان لليهودية التي تحمل بصمات وثنية وآشورية وبابلية أثرٌ في مدّ التشيع بالكثير من الأفكار والمعتقدات.
٤- وإذا أمعنا النظر وجدنا تشابهاً كبيراً بين أقوالهم في الإمام علي بن أبي طالب وأئمة آل البيت، وبين النصارى من حيث أقوالهم في المسيح عليه السلام، فقد شابهوهم في كثرة الأعياد وكثرة الصور، واختلاق خوارق العادات وإسنادها إلى الأئمة. ومما سبق يتضح مدى تطرف تلك الفئة الضالة عن مبادئ الإسلام الصحيح الذي تربينا عليه من خلال القرآن الكريم والسنة المشرفة، ولا شك أن فكرهم يبعد كل البعد عن الإسلام فليس منه في شيء، بل إنني أجزم إنه من الخطأ أن نخلع عليهم عباءة الإسلام؛ لأنه منهم براء، ولا يخفى على أحدٍ مدى المعاناة التي يعانيها العرب من أهل السنة من هذه الفرقة بسبب ما تصنعه إيران وأتباعها في

العراق وسوريا ولبنان والبحرين من قلاقل وأزمات مُفتعلة، ناهيك عن قنواتهم الفضائية المنتشرة التي تُعلن عداءها لأهل السنة، وعلى رأسهم هذا الخبيث المقيم بلندن والذي يسمى ياسر الحبيب؛ حيث لا يتورع عن سب صحابة رسول الله والسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

وتجدر الإشارة هنا إلى ما قامت به مصر من تصدٍ واضحٍ لمحاولة نشر معتقداتهم عقب ثورة يناير عام (٢٠١١م)، ولعل هذا ما تسبب في مقتل الشيعي حسن شحاتة الذي تطاول علانية على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- والخلفاء الراشدين، وبالرغم من أنني ضد مبدأ القتل في جميع الأحوال إلا أنّ هذا الرجل كان لا بد من وقفةٍ صارمةٍ معه، وهذا ما حدث بالفعل، حتى تبقى مصر بلد الوسطيّة والاعتدال على نهج أهل السنة والجماعة.

❄❄❄❄❄❄❄❄❄

العلويون:

العلوية هي أحد طوائف الشيعة التي نجد لها وجودًا بارزًا في عصرنا الحاضر، حيث تتمركز هذه الطائفة في الجمهورية العربية السورية، وهي تحمل نفس مبادئ وعقائد فرقة الإمامية من حيث تسلسل الأئمة الاثني عشر، وقد افترقوا عن الاثني عشرية ما بعد الإمام الحادي عشر الحسن العسكري، وكان الاختلاف في المرجعية والزعامة، وفي بعض الأمور التي جرت عليها العادة عند الإمامية، وتشير أصابع الاتهام إلى تلك الطائفة؛ فيصفها بعض الشيعة بالغلو، ويصفها أهل السنة بأنها فرقة باطنية تكتم عقائدها الحقيقية.

والعلويون الأصليون هم المتواجدون في الجبال الساحلية السورية، ويختلفون عن علويّي المغرب أو اليمن أو تركيا.

ويطلق اسم علويين على كل من تولّى الإمام علي بن أبي طالب ووافقهُ وسارَ في نهجه، وذلك أن الحكام الأمويين والعباسيين كانوا يطلقونه على هؤلاء الأتباع، والطائفة العلوية تتبع نفس سلسلة أئمة الاثني عشرية بداية بالإمام علي بن أبي طالب، ونهاية بالإمام محمد بن الحسن الغائب، فضلا عن وجود بعض النظريات التي يؤمنون بها كالتقمص أو التجايل ونظريتهم في الحجاب والظاهر والباطن والدعوة للدين ومن هنا فإننا نعدها امتدادا لفرقة الإمامية مع وجود بعض الاختلافات اليسيرة.

ويتجمع معظم العلويين في سلسلة الجبال الممتدة من عكار جنوبًا إلى طوروس شمالًا، ويتوزع بعضهم في محافظات حمص، وحماة ودمشق وحوران كيليكيا ومحافظة حاتاي في تركيا، ويوجد في المهاجر الأمريكية أكثر من ربع مليون علوي، فضلاً عن الموجود منهم في لبنان والعراق وفلسطين وإيران، وكذلك في أوروبا من تركيا واليونان وبلغاريا إلى البانيا.

عُرف العلويون بعدة أسماء منها: (النصيريين) نسبة إلى محمد بن نصير، وقد عرفوا أيضا بـ (الخصيبية) نسبة إلى الحسين بن حمدان الخصيبي، لكن كلمة علويين رافقت كلا من العلويون والشيعة من أيام الإمام علي، واحتفظ العلويون بهذا الاسم بعد الإمام الحسن الاخر العسكري.

ومن أشهر العلويين في الشرق الأوسط: قائد ثورة جبال الساحل السوري ضد الفرنسيين الشيخ صالح العلي، بالإضافه إلى عدد من الكتاب والمفكرين كالشاعر أدونيس، والشاعر بدوي الجبل، والشاعر سليمان العيسى، والشاعر والمسرحي ممدوح عدوان، وسعد الله ونوس وغيرهم، ولعل أشهرهم على الإطلاق هم من حكموا سوريا على مدى الخمسين عاما الماضية ولا يزالون في الحكم، إنها عائلة الأسد، ولا يخفى على أحد ما صنعوه من أفعال وحشية تسببت في تشريد الكثير من الشعب السوري، بالرغم من أنّ العلويين أقلية بالمقارنة مع أهل السنة وبقية الطوائف في سوريا، لكنه التحالف الشيعي المعروف المكون من إيران الفارسية وعلويي سوريا والشيعة اللبنانيين.

❄❄❄❄❄❄❄❄❄

الزيـدية:

نصل الآن إلى أكثر فرق الشيعة اعتدالًا، وأقلهم تطرفاً وخروجاً عن الإسلام ومبادئه ألا وهي فرقة الزيدية:

حيث ترجع نسبة هذا الاسم إلى إمامها زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان من أتباع أهل السنة والجماعة، فهي لم تغلُ في عقائدها، ولم يكفر الأكثرون منها أحداً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم ترفع الأئمة إلى مرتبة الألوهية ولا إلى مرتبة النبوة، وقد خرج إمامهم على هشام بن عبد الملك فقتله وصلبه سنة (١٢١ هـ) وخرج بعده ابنه يحيى فقتل سنة (١٢٥ هـ).

ولهذه الفرقة شأنها شأن غيرها من الفرق مبادئ وأصول نستطيع أن نجملها على النحو التالي:

١- الإمام منصوص عليه بالوصف لا بالاسم، وأوصاف الإمام أن يكون فاطميًا ورعاً تقياً سخياً شجاعاً، يخرج داعياً الناس لنفسه، ولا يقولون بالتقية.

٢- يجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل؛ لأن هذه الصفات للإمام الأمثل، فهو بها أولى من غيره، فإن اختار أهل الحل والعقد إماماً لم يستوفِ الشروط وبايعوه صحت بيعته، وبُني على هذا صحة بيعة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وعدم تكفير الصحابة ببيعتهما، وقد خذل زيد أكثر الشيعة لقوله بهذا الأصل.

يجوز خروج إمامين في قُطرين مُختلفين، ولا يجوز خروج إمام ينفي قُطر واحد.

٤- تخليد مرتكب الكبيرة في النار ما لم يتب توبة نصوحاً، وهذا من أثر تلمذة إمامهم لواصل بن عطاء، كما أنه من أسباب خروج الشيعة عليه.

وكما هو واضح فلسنا نجد عند هذه الفرقة ما يدعونا إلى القول بالمغالاة أو التطرف المقيت، وإن كان لنا تحفظ على المبدأ الأخير القائل بتخليد مرتكب الكبيرة في النار.

وتعد اليمن هي مركز هذه الفرقة؛ حيث تنتشر فيها الزيدية بشكل كبير، وحتى لا يختلط الأمر على القارئ فإن الحوثيين هم أتباع الإمامية الاثني عشرية وليس الزيدية.

❄❄❄❄❄❄❄❄❄

الإسماعيلية (الباطنية):

تعد من الفرق التي نلمس لها نشاطاً ملحوظاً في عصرنا الحاضر، كما نجد لها أصولاً بعيدة تمتد عبر قرون طويلة، فهي من الفرق التي نجد لها مسميات عديدة باختلاف المكان الذي تتواجد فيه:

فهي في العراق بـ (القرامطة) و (المزدكية)، وفي مصر بـ (العبيدية)، وفي خراسان بـ (الميمونية)، وفي الشام بـ (النصيرية) و (الدروز) و (التيامنة) و (النزارية) و (السنانية)، وفي فلسطين بـ (البهائية)، وفي الهند بـ (البهرة)، وفي بلاد الأعاجم بـ (البابية)، وتُسمى في بلاد الأعاجم أيضا (الأغاخانية)، وهم (الحشاشين)، ويُطلق عليها (الخطابية)، وفي اليمن بـ (اليامية)، على أنه ليس كل (يامي) إسماعيلياً.

وهي تعد من أكثر فرق الشيعة ضلالاً وشططاً، وأبعد ما يكونوا عن الإسلام؛ لأنهم يقولون إنّ لكل ظاهرٍ باطناً، ويقولون ذلك حتى في القرآن الكريم، فله عندهم ظاهرٌ وباطنٌ، فالباطن لا يفهمه سواهم! وهذه وسيلة من وسائل أهل الضلال لهدم الإسلام.

نشأتهم:

ترجع نشأة فرقة الإسماعيلية إلى ذاك الخلاف الذي وقع بين الشيعة بعد وفاة جعفر الصادق سنة (١٤٨ هـ) حيث ذهب فريق إلى أنّ الإمامة لموسى بن جعفر الصادق، وهو المعروف بالكاظم، وهؤلاء أُطلق عليهم الموسوية، والإمامية، والاثنا عشرية، وذهب آخر إلى أنّ الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق، فسُمّوا الإسماعيلية، وهؤلاء قد زعموا أنّ جعفر الصادق نصّ على إمامة إسماعيل، وقد وقع الخلاف بينهم هل مات إسماعيل في حياة أبيه أولا؟

والأشهر أنه مات في حياة أبيه سنة ١٤٥ هـ ، والذين قالوا بوفاة إسماعيل في حياة أبيه ساقوا الإمامة إلى ابنه محمد بن إسماعيل، ومحمد هذا هو الذي يُسمونه الفاتح وصاحب الزمان.

والحق أنّ للإسماعيلية جذوراً بعيدةً تمتد إلى عبد الله بن سبأ اليهودي، فهم يشتركون في كونهم صنيعة يهودية! وذلك لأنهم كانوا يشتركون مع الرافضة حتى وفاة جعفر الصادق رحمه الله.

والمتأمل إلى تاريخ هذه الفرقة يجد لها رجالاً قد لعبوا دورًا أساسيًا في وضع القواعد والمبادئ والأصول التي قامت عليها هذه الفرقة من هؤلاء إسماعيل بن جعفر وهو مؤسسها، وإليه تنتسب، وكان إسماعيل هذا أكبر إخوته، وأحبهم إلى أبيه. وكان جعفر الصادق – رحمه الله – ينقم على أبي الخطاب، وعلى المفضل بن عمر، والأخير هذا من أتباع أبي الخطاب.

ومن أشهر رؤوس هذه الفرقة: أبو الخطاب، وهو محمد بن مقلاص الأسدي الكوفي، وقد سار هذا الضال في أفكار الغلوّ حتى قُتل على يد عيسى بن موسى والي الكوفة سنة ١٤٣ هـ .

وكان أبو الخطاب أستاذاً للمفضل الجعفي الذي كان وراء محمد بن نصير مؤسس النصيرية، وكان مخلصاً لميمون القدّاح ولابنه عبد الله بن ميمون . وهذان ممن عملا بشكل فعال على انطلاقة الإسماعيلية، ثم انبثقت منها الحركات الأخرى كالقرامطة والدروز وغيرهم مما ذكرنا.

كذلك من رجال هذه الفرقة:

الحسن بن حوشب، وعلي بن الفضل وهما اللذان نشراً الدعوة الإسماعيلية في اليمن.وقد ادّعى علي بن الفضل هذا النبوة، وأحلّ لأصحابه المحرمات، فأحلّ شرب الخمر، ونكاح البنات والأخوات، وأظهر عقائده الإلحادية في اليمن، وخرّب الكثير من المساجد.

وهذا الخبيث لما احتل مدينة الجند باليمن سنة ٢٩٢ هـ صعد المنبر وقال هذه الأبيات:

خــذي الدفّ يا هذه واضربي	وغــنّي هــزارك ثـم اطربي
تولّـــى نـبيّ بـني هاشـــم	وجــاء نــبي بـني يعـــرب
أحـــلّ البنـات مـع الأمهـات	ومن فضله زاد حلّ الصبيّ
لكـــل نبيّ مــضى شرعـــه	وهـــذي شريعـة هـذا النبيّ
فقد حط عنا فروض الصلاة	وحــط الصيـام ولم يتعب
ومــا الخمــر إلا كماء السمـاء	حلال فقدّست من مذهب [1]

وبقي يعيث باليمن فساداً حتى مات مسموماً سنة ٣٠٣ هـ ، وأبو عبد الله الشيعي الذي نشر الدعوة في المغرب، وميمون القدّاح وابنه عبد الله بن ميمون، ابنه أحمد بن عبد الله الذين نشروا الدعوة في مصر وغيرها، والفرج بن عثمان القاشاني الذي أظهر الدعوة في البحرين، وقد استمال شخصاً يُدعى حمدان بن قرمط الأشعث. وهذا الأخير حمدان هو مؤسس فرقة القرامطة الإسماعيلية الذين سنتحدث عنهم فيما بعد، ثم جاء من بعده داعية إسماعيلي هو الحسن بن بهرام المعروف بـ (أبي سعيد

[1]- انظر كشف أسرار الباطنية ، للشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني ص (٥٥) والحركات الباطنية ، د / محمد الخطيب ص (٦٦)

الجنّابي)، وقد هاجم هذا (هجر) سنة ٢٨٧ هـ واحتلها، وجعلها عاصمة له. وهو الذي تعرض للحجاج في طريقهم وقتلهم على مدى سنوات، حتى كان من شأنه أن قتل الحُجاج في الحرم، وردم بئر زمزم بالقتلى، وقد أمر بعد ذلك بقلع الحجر الأسود.

ومن أشهر أئمتهم عبيد الله المهدي، وهو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح، وقد انتسب إلى آل البيت وتستر بذلك، وادعى أنه علويّ، وإليه تُنسب الدولة العبيدية، ومن هنا سُمّيت الدولة العبيدية بـ (الفاطمية) نسبة إلى فاطمة الزهراء - رضي الله عنها –وهي منهم براء.

وبعد وفاة المستنصر بالله سنة ٤٨٧ هـ انقسمت الإسماعيلية إلى: مستعلية نسبة إلى المستعلي بن المستنصر، وهي التي عُرفت بعد ذلك بـ (البهرة) و (نزارية) نسبة إلى نزار بن المستنصر.

والنزارية تُسمى في بلاد الأعاجم (الأغاخانية)، ومن أشهر مؤسسيها الحسن بن الصباح، وقد عُرف أنصاره بـ (الحشاشين)، ومنهم (شيخ الجبل) وهو راشد بن سنان، الذي كوّن فرعاً للحركة في بلاد الشام، وعُرفوا بـ (السنانية)،ولا تزال جذورهم باقية في الشام في سلمية والخوابي والقدموس ومصياف وبانياس والكهف. ثم كان تقويض دولة الإسماعيلية على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هـ .

ومن هنا فإن الرافضة عموما، والإسماعيلية خصوصاً، يكرهون بل ويحقدون على صلاح الدين – رحمه الله – ويُحاولون تشويه سمعته.

معتقداتهم:

١- القول بالتجسيم أي تشبيه الله بخلقه وأشد منه التعطيل، فقد عطلوا الله من كل وصف مع نفيهم للأسماء والصفات، كذلك نفيهم أن الله خلق العالَم خلقا مباشرا، وإنما أبدع الكاف واخترع النون (كُن). هذا مع اعتقادهم أن الله لم يخلق الخلق، وأنه لا يُدبر شؤونهم ولا يرزقهم ولا يُحييهم ولا يُميتهم، وإنما الذي يقوم بذلك كله هو العقل الأول الذي أبدعه الله بزعمهم.

٢- ومن المبادئ التي استمدها الإسماعيلية من المجوس مبدأ أن للكون إلهين! ويُعبر عنه عندهم بـ (السابق والتالي)، وهو موجود حتى عند المعاصرين، بل عند الكتّاب والمثقفين منهم !

٣- يقولون بالحلول وبِقِدَم العالَم والقول بتناسخ الأرواح، والقول بالوصية والرجعة

٤- النبوّة عند الإسماعيلية مكتسبة، فباستطاعة الإنسان أن يُصبح نبيّاً !، وبالتالي فإنهم يعتقدون أن علياً بمنزلة محمد صلى الله عليه وسلم .

٥- إنكارهم أن يكون القرآن وحياً، بل يعتقدون أنه من المعارف التي فاضت على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

٦- المغالاة في أئمتهم حتى يرفعوهم إلى مرتبة الألوهية كحال الرافضة تماماً.

٧- اعتقادهم أن للإسلام سبع دعائم، لا يكون الإنسان مسلماً إلا بها، وهي: الولاية، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، على أنهم يقولون بالمعاني الباطنية لهذه الدعائم ، لا كما يقوله أهل الإسلام.

٨- إنكارهم للكثير من الغيبيات، ويلوون نصوص الوحي؛ لتوافق مذهبهم، فقد جاءوا بمفاهيم مغايرة تماماً لما جاء به الإسلام، خاصة فيما يتعلق بالمبدأ والمعاد، وعذاب القبر ونعيمه، والجنة والنار، وغيرها من الأمور الغيبية. وهم مع ذلك لا يؤمنون ببعثٍ ولا نشور، ويُنكرون المعاد والحساب.

٩- اتفاقهم مع الرافضة في الاعتقاد في الصحابة - رضوان الله عليهم - بل أشد؛ فقد نعتوهم بالصفات القبيحة كإبليس وفرعون وهامان والطاغوت وهُبل وغير ذلك !

وإن كانت الرافضة تشترك معهم في نعت الشيخين بـ (الجبت والطاغوت) !

من المبادئ السابقة نكتشف مدى الضلال والفساد العقلي والديني الذي وصل إليه هؤلاء حتى إن بعضهم قد ادّعى النبوة، بل الأدهى من ذلك أنْ ادّعى سلطانهم طاهر سيف الدين أنّه إله حقيقة، وكان ذلك سنة (١٩١٧ م).

وحتى أكون أمينة مع القارئ لابد أن أسرد سراً موجزاً لبعض حركات الإسماعيلية التي نجد لها مسميات دون أن نعرف حقيقتها، وما ذلك إلا لتكتمل الرؤية في هذا الكتاب، ومن تلك الحركات: القرامطة، العبيدية، الميمونية، النصيرية، السنانية، البهائية، البهرة، البابية، الأغاخانية، اليامية.

وسنحاول استقصاء كل حركة من هذه الحركات بالقول والتحليل علي النحو التالي:

١- القرامطة:

تعد القرامطة من أكثر حركات الإسماعيلية شراسة وضلالاً؛ حيث إنها أحدثت جدالاً واسعاً في المجتمع الإسلامي، نتيجةً لأفعالها المشينة، فيكفي قيامهم بسرقة الحجر الأسود.

ويرجع أصل القرامطة إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه، وهو من الأهواز ثم رحل إلى الكوفة، وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية.

والقرامطة كانوا دعاة للإسماعيلية، ثم انحرفوا عنهم عندما علموا أن الدعوة في السلمية (إحدى معاقل الإسماعيلية) لم تعد لأولاد محمد بن إسماعيل وإنما لأولاد عبد الله بن ميمون القداح الذي يعد رأس الأفعى للقرامطة بنشر المبادئ الإسماعيلية في جنوب فارس سنة ٢٦٠ هـ، ومن ثم كان له داعية في العراق اسمه الفرج بن عثمان القاشاني المعروف بذكرويه الذي أخذ يبث الدعوة سراً.

وفي سنة ٢٧٨ هـ نهض حمدان قرمط بن الأشعث يبث الدعوة جهراً قرب الكوفة ثم بنى داراً أسماها دار الهجرة، وقد جعل الصلاة خمسين صلاة في اليوم، وهرب ذكرويه واختفى عشرين عاماً، وبعث أولاده متفرقين في البلاد يدعون للحركة الإسماعيلية مبادئهم:

أ- ادعى القرامطة أنهم يقاتلون من أجل آل البيت، وأسسوا دولة شيوعية تقوم على شيوع الثروات، وعدم احترام الملكية الشخصية، وجعلوا الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة.

ب- ألغوا أحكام الإسلام الأساسية، وأبطلوا القول بالمعاد والعقاب، ويعتقدون بأن الجنة هي النعيم في الدنيا، والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد.

ج- ويقولون بالعصمة، وأنه لابد في كل زمان من إمام معصوم يؤول الظاهر ويساوي النبي في العصمة، ومن تأويلاتهم:

- الصيام: الإمساك عن كشف السر.
- البعث: الإهتداء إلى مذهبهم.
- النبي: شخص فاضت عليه من الإله الأول قوة قدسية صافية.
- القرآن: تعبير محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - عن المعارف التي فاضت عليه، ومركب من جهته، وسمي كلام الله مجازاً.

د- وجود إلهين قديمين أحدهما علة لوجود الثاني، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه، ويقولون بالرجعة، وأن علياً - رضي الله عنه - يعلم الغيب، ويفرضون على أتباعهم الضرائب الباهظة.

هـ - استمدوا عقائدهم وأفكارهم من الفلسفة المادية التي جاءت من تعاليم الملاحدة والمتآمرين من أئمة الفرس، وتأثروا بمبادئ الخوارج الكلامية والسياسة ومذاهب الدهرية، وتعلقوا بمذاهب الملحدين مثل مزدكوزرادشت.

تلك هي أفكار القرامطة، وقد دامت هذه الحركة قرابة قرنين من الزمان، وقد بدأها عبد الله بن ميمون القداح في جنوب فارس سنة ٢٦٠ هـ، وانتقلت إلى سواد الكوفة والبصرة، وامتدت إلى الأحساء والبحرين واليمن ، وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبي الجزيرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان، وقد بذلوا جهداً كبيراً في محاربة دولة الخلافة العباسية، وقتل المسلمين في أنحاء عديدة.

وفي سنة (٢٨٦ هـ) تحرك القرامطة برئاسة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، واستولوا على هجر وما حولها من البلاد وأكثروا فيها الفساد.

وقد كان أبو سعيد هذا سمساراً في الطعام يبيعه، ويحسب للناس الأثمان بالقطيف، فجاء أبو سعيد وعاث في الأرض فساداً، وأخافوا أهل العراق والشام، إلى أن هلك أبو سعيد سنة ٣٠١ هـ ، ثم قام بأمر القرامطة من بعده ولده الملقب بأبي طاهر الجنابي.

وكثر دعاة القرامطة وصار لهم دولة، وفي سنة (٣١٧ هـ) اشتدت شوكتهم جداً وتمكنوا من الوصول إلى الكعبة والناس يوم التروية، فما شعروا إلا والقرامطة برئاسة أبي طاهر قد انتهبوا أموالهم، وقتلوا كل من وجدوا من الحجيج في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة، وجلس أميرهم أبو طاهر على باب الكعبة والرجال تصرع حوله، ويقول: (أنا الله وبالله أنا، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا)، ولم يدع أحداً طائفاً أو متعلقاً بأستار الكعبة إلا قتله، ثم أمر بإلقاء القتلى في بئر زمزم، ودفن كثيراً منهم في المسجد الحرام، ثم هدم قبة زمزم،وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها عنها، ثم أمر بقلع الحجر الأسود من مكانه وأخذوه معهم فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة.

نهاية القرامطة سياسياً وعسكرياً:

في منتصف القرن الرابع الهجري دخل القرامطة النهاية لأسباب داخلية وأُخرى خارجية، وما لبثوا أن زالوا عن مسرح الصراع في المشرق العربي من الناحيتين السياسية والعسكرية:

الأسباب الداخلية:

من الواضح أنّ الحركة القرمطية لم تستطع إخفاء مقاصدها الحقيقية في محاربة العقيدة الإسلامية الصحيحة، لا سيما بعد الانتصارات المحلية لبعض زعمائها على السلطة العباسية، فقد أساء المتأخرون من هؤلاء الزعماء التصرف بالنسبة للمجتمع الإسلامي آنذاك، حتى أنّ العبيديين وهم على منوالهم في الاتجاه السياسي والعقائدي اضطروا إلى أن يتبرأوا منهم وأن يهاجموهم عسكرياً في أماكن تواجدهم، حيث أوعزوا إلى قائدهم العسكري (جوهر الصقلي) بأن يذيع بياناً يستنكر فيه أعمال القرامطة ويتبرّأ من تصرفاتهم المغايرة للإسلام والضارة بالمسلمين، على أنّ جوهر لم يكتف بهذا البيان بل حاربهم فعلاً على أرض فلسطين في الرملة (سنة ٣٦٨ هـ)، و كانت هذه المعركة بداية النهاية بالنسبة للحركة القرمطية ولأتباعها على مختلف المستويات وفي جميع البلدان التي انتشروا فيها بقوة الدعاية التبشيرية أو بقوة السلاح والإرهاب.

ويمكن القول: بأنّ حادثة العدوان التي قام بها القرامطة على مكة المكرمة بقيادة أبي طاهر الجنابي، وما رافق ذلك من قتل الحجاج، واقتلاع الحجر الأسود من مكانه، وأخذه إلى هجر، كان بمثابة القنبلة الموقوتة التي انفجرت بعد حين، ودمرت الكيان القرامطي من أساسه، حتى إنّ أبا محمد عبيد اللّه الذي أسس الدولة العبيدية، وكان هو نفسه قرمطي العقيدة استبشع هذه الحادثة وأفزعته مضاعفاتها السلبية في

الأوساط الإسلامية؛ فأرسل كتاباً لنظرائه قرامطة البحرين ينكر فيه عليهم فعلتهم الشنيعة، ويلوم أبا طاهر المذكور، ويلعنه ويقيم عليه القيامة، بقوله:

(قد حقّقت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت، وإن لم تردّ على أهل مكة وعلى غيرهم من الحجاج ما أخذت منهم، وترد الحجر الأسود إلى مكانه، وترد كسوة الكعبة، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة).

وهذه الحادثة المشؤومة كانت (سنة ٣١٧ هـ) وهنا فإنّنا نرى من الفائدة تسجيل وجهة نظر القرامطة في هذه الحادثة كما عبّرعنها أبو طاهر القرمطي الذي اقترف هذه الجريمة النكراء، وذلك من خلال الشعر الذي قاله في هذه المناسبة، والرد الذي أرسله إلى الخليفة العباسي المقتدر باللّه.

قال أبو طاهر في تبرير اقتلاع الحجر الأسود والعدوان على البيت الحرام:(فلو كان هذا البيت للّه ربّنا لأنّا حججنا حجة جاهلية، وأنا تركنا بين زمزم والصفا ولكان ربّ العرش جلّ جلاله صب علينا النار من فوقنا صبا مجللة لم تبق شرقاً ولا غرباً، كتائب لا تبغي سوى ربها ربا، لم يتخذ بيتاً ولم يتخذ حجبا).

ومن العوامل الداخلية الأخرى التي أضعفت القرامطة، وأدّت إلى ذهاب ريحهم واضمحلال شوكتهم الانقسام الذي فرّق أمرهم فيما بينهم، وخاصة بعد موت أبي طاهر سليمان، مما اضطرهم إلى تعديل نظام (مجلس العقدانية) وتحويله (إلى مجلس السادة) الذي أوهن قيادتهم المركزية، والحروب التي شنها بعضهم على بعض في عهدي أبي طاهر والأعلم خارج مركز قوتهم (البحرين) ممّا كبدهم أموالاً طائلة، وأضعف مواقفهم بعد كل معركة، وأدّى إلى قيام حركات انفصالية داخل مجموعتهم لا سيما في عمان واليمن.

الأسباب الخارجية:

أمّا الأسباب الخارجية التي أدّت إلى زوال الحركة كدولة ونظام ومجتمع، فإنّ المؤرخين يردّون ذلك إلى الظواهر السلبية التي عانوا منها في أُخريات أيامهم وهي التالية:

ظهور دولة بني بويه المناوئة للقرامطة التي نجحت في جرهم إلى حروب جانبية، خلقت لهم أعداء من كلّ جانب، وخاصة من الدولة العبيدية المصرية، وقلة الأموال التي كانت بحوزتهم، فلم يعودوا يتمكنون من الاستمرار في صرف المعتاد من العطايا على البدو ممّا أضعف موالاة هوَلاء لهم، وتحوّلوا عنهم إلى العباسيين لهذا السبب، وانقلاب قبائل إقليم البحرين نفسها عليهم، مثل: بني عقيل، وبني تغلب، ونجاح هذه القبائل بالتغلب على بعض أطراف الدولة القرمطية مثل القطيف وما جاورها.

ومن العوامل الخارجية الأخرى التي قادت القرامطة إلى نهايتهم وتلاشيهم أنّ أسيادهم وحلفاءهم ورفاقهم في الاتجاه المذهبي والمبادئ العقائدية، نعني: العبيديين حكام القاهرة، انقلبوا عليهم بعد أن ضاقوا ذرعاً بتأرجحهم بين الولاء لبغداد وبين الاستسلام للقاهرة، وبخروجهم عن كلّحد، وزاد غيّهم وسفكهم للدماء، وغزوا مكة، وفتكوا بالحجيج، واقتحموا البيت الحرام، ولمّا ذهبوا في جرأتهم إلى مهاجمة الدولة الفاطمية ذاتها في الشام وانتزعوا منها دمشق وهاجموها في مصر منزلها الجديد، تنكرت لهم وأنكرت ثورتهم وتبرأت منهم.

٢- العبيدية:

هي حركة تبنت المذهب الشيعي الإسماعيلي، واستمرت حوالي ثلاثة قرون من الزمان (٢٩٧ – ٥٦٧هـ).

وتنبع أهمية هذه المسألة من نظرية الإمامة الشيعية، التي تعتبر الإمامة ورئاسة الدولة حقاً مقدساً لآل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وعقبهم، وأنها منحصرة فيهم إلى يوم القيامة، وهذا المعتقد تشترك فيه جميع فرق الشيعة.

وإذا كان الانتماء إلى آل البيت شرطاً لتولي الإمامة عند فرق الشيعة، فقد لجأ بعضهم إلى نسب نفسه إلى ذلك البيت الطاهر، وقامت دول على ادّعاء النسب، على رأسها الدولة العبيدية، ومؤسسها عبيد الله المهدي، ذلك لأن ادّعاء النسب الشريف يقرب المحكومين إلى الحاكم، ويوطد أركان الدولة، ويعمل على التصدي للمعارضين والمناوئين.

ومما جناه العبيديون من انتحال النسب الشريف، إخفاء أصلهم المجوسي، الذي أكده أغلب العلماء والمؤرخين . كما سيأتي بيانه . وهؤلاء العلماء كان لهم الدور الكبير في بيان زيف العبيديين، وفضح ادعاءاتهم، بشكل فردي وجماعي.

وقد تمثلت إحدى الجهود الجماعية في (المحضر) الذي كُتب في بغداد سنة ٤٠٢هـ، ويكذب انتساب العبيديين إلى آل البيت، ووقّع عليه عدد كبير من علماء الأمة وفقهائها.

وتنسب الدولة العبيدية إلى أول حكامها عبيد الله المهدي، المولود في الكوفة بالعراق سنة ٢٦٠هـ .

وذهب جمع من المؤرخين والباحثين إلى أنّ عبيد الله هذا اسمه الحقيقي: سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان (القداح)، أما ميمون فقد كان معاصراً لمحمد بن إسماعيل، الذي اعتبرته طائفة من الإسماعيلية إماماً لها، وكان أبوه (ديصان) مجوسياً، أما ميمون فقد أظهر الإسلام، وانخرط في صفوف الدعوة الإسماعيلية في وقت مبكر، ثم ورثه أبناؤه في الدعوة والعمل معاً، إذ تسلم الأمر من بعده ابنه (عبد الله) المتوفى سنة ١٨٠هـ، ثم (أحمد) و (الحسين).

وقد انتقلت أسرة القداح إلى (السلمية) في سوريا بعدما أشيع عن انتقال أسرة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إليها، وعندما وجدت الأسرة القداحية نفسها ذات إمكانات وطاقات بما تحصل عليه من مال ودعم مشبوه وتأييد من الإسماعيليين، عدّت نفسها من نسل محمد بن إسماعيل، وبخاصة عندما وجد هذا التشابه في الأسماء.

وقد بدأ هذا الادّعاء بعد وفاة الحفيد الرابع لإسماعيل بن جعفر، والحفيد الرابع هو الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر، ولعلّ التشابه الكبير في الأسماء بين سلالة القداح، وسلالة إسماعيل، قد ساعد عبيد الله على انتحال نسب من إسماعيل.

وبعد أن قضى جزءاً من حياته في الشام متخفيًا عن نظر العباسيين، الذين كانوا يلاحقونه، ظهر عبيد الله في بلاد المغرب العربي، التي كانت بعيدة عن سيطرة ونفوذ العباسيين لينشر الدعوة هناك، ثم ادّعى أنه المهدي المنتظر، وتلقب بالمهدي.

وقد سبق انتقال عبيد الله المهدي إلى المغرب إرسال الإسماعيليين أحد دعاتهم إلى هناك، وهو الحسين بن أحمد، الذي اشتهر باسم (أبي عبد الله الشيعي)، وقد حقق هناك نجاحاً في الدعوة إلى المذهب الإسماعيلي.

ويشكل عبيد الله المهدي أول أئمة الظهور عند الإسماعيليين، وقد استطاع تأسيس دولته في المغرب سنة ٢٩٧هـ بعد انتصاره على دولة الأغالبة، ثم أخذت الدولة تتوسع شيئاً فشيئاً حتى شملت المغرب العربي ومصر والحجاز واليمن، وأجزاء من بلاد الشام وشمال العراق.

وتشكل الفترة التي سبقت تأسيس الدولة العبيدية سنة ٢٩٧هـ، مرحلة الستر والكتمان عند الإسماعيلية، وهو ما يزيد الأمر غموضاً فيما يتعلق بنسب الأئمة العبيديين.

وقد استند أهل السنة إلى أدلة كثيرة في نفي النسب الفاطمي عن العبيديين، منها:

أ . تجنب أئمة العبيديين الإفصاح عن نسبهم، إذ أن رابع حكامهم المعز لدين الله عندما دخل مصر، ولقيه أشرافها وسألوه عن نسبه، اكتفى بأن سلّ لهم نصف سيفه، وقال: هذا نسبي، ونثر عليهم ذهباً كثيراً، وقال: هذا حسبي.

كما أن ولده العزيز، عندما كتب إلى خليفة الأندلس عبد الرحمن الثالث الأموي كتاباً يسبّه ويهجوه فيه، جاء رده عليه: "فإنك عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك".

ب . اضطراب الإسماعيليين أنفسهم في نسب أئمتهم، واسم مؤسس دولتهم عبيد الله، فبعضهم يسميه (عبيد الله) والبعض (عبد الله) وآخرون يسمونه (سعيد الخير)، وبعض المتأخرين منهم يسمونه (محمداً).

كما اختلفوا في أسماء آبائه وأجداده اختلافاً كبيراً، يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: "لم تضطرب آراء الإسماعيلية في ذلك، وتختلف أقوالهم إلاّ لمحاولتهم جعل المهدي من البيت العلوي، وإعطائهم ظهوره صبغة التقديس حسب نبوءات الرسول - صلى الله عليه وسلم - والأئمة من أهل بيته"

جـ . إنكار آل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - من آل أبي طالب المقيمين وقت إصدار المحضر في بغداد لصحة انتساب العبيديين إلى أبناء عليّ وفاطمة، وعلى رأس هؤلاء الشريف الرضي، والمرتضى، وأبوهما نقيب الطالبيين أبو أحمد الموسوي، ومنهم كذلك الشريف أخو محسن، والشريف ابن طباطبا.

د . الموقف الذي جرى بين الصحابي الجليل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - والحسين بن علي - رضي الله عنهما - لمّا كتب أهل الكوفة الكتب للحسين يدعونه للقدوم إليهم ومبايعته، حيث قال ابن عمر للحسين: "لا تذهب إليهم، فإني أخاف عليك أن تقتل، وإن جدّك (النبي صلى الله عليه وسلم) قد خُيّر بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة على الدنيا، وأنت بضعة منه، وإنه والله لا تنالها لا أنت ولا أحد من خلفك ولا من أهل بيتك".

يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: "فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المعقول، من هذا الصحابي الجليل، يقتضي أنه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلاّ محمد بن عبد الله المهدي الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى بن مريم، رغبة بهم عن الدنيا، وأن لا يدنسوا بها، ومعلوم أن هؤلاء (العبيديين) قد ملكوا ديار مصر مدة طويلة، فدلّ ذلك دلالة قوية ظاهرة على أنهم ليسوا من أهل البيت، كما نصّ عليه سادة الفقهاء"[1].

هـ . أن إنكار انتسابهم إلى آل البيت، كان محل اتفاق بين المسلمين وعلمائهم منذ نشأة هذه الدولة ومنذ وقت مبكر، وقد بدأ ذلك مع بداية عبيد الله المهدي، وكان أول الرادين عليه أبو العباس، الأخ الأكبر لأبي عبد الله الشيعي، وكذلك القرمطي الحسن الأعصم، وهو زعيم جماعة القرامطة التي تنتمي للإسماعيلية أيضا.

[1]- الإسماعيلية للشيخ ظهير ص (٢٢٨) .

وكان الإنكار عليهم ذائعاً شائعاً، حتى إن خامس حكامهم العزيز بن المعز، صعد المنبر أحد أيام الجمعة في أول حكمه، فرأى ورقة على المنبر فيها هذه الأبيات:

إنا سمعنا نسباً منكراً	يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعي صادقاً	فاذكر أباً بعد الأب الرابع
وإن ترد تحقيق ما قلته	فانسب لنا نفسك كالطائع
أو فدع الأنساب مستورة	وادخل بنا في النسب الواسع
فإن أنساب بني هاشم	يقصر عنها طمع الطامع[1]

وقد وقفت الأمة بحكامها وعلمائها في وجه الإفساد الذي تبناه العبيديون.

نهاية العبيدية (الفاطمية):

نهاية الفاطميين في عام(٥٦٧هـ) خطب باسم الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي، وقطعت الخطبة للعاضد لدين الله فانقطعت ولم تعد بعدها.

وذلك أنه لما ثبتت قدم صلاح الدين بمصر وأزال المخالفين له وضعف أمر الخليفة العاضد بقتل رجاله وذهاب أمواله، وصار الحكم على قصره قراقوش طواشي أسد الدين نيابة عن صلاح الدين، وتمكنت عساكر نور الدين من مصر طمع في أخذها.

وكتب إلى صلاح الدين وفي ظنه وظن جميع عساكره أن صلاح الدين إنما هو نائب عنه في مصر متى أراد سحبه بإذنه لا يمتنع عليه يأمره بقطع خطبة العاضد وإقامتها للمستضيء العباسي، فاعتذر بالخوف من قيام المصريين عليه وعلى مَن معه لميلهم إلى

[1]- الإسماعيلية للشيخ ظهير ص (٢٠٦) .

الفاطميين، ولأنه خاف من قطع خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضيء أن يسير نور الدين إلى مصر وينزعه منها.

فلم يقبل منه نور الدين وألح عليه وألزمه إلزاماً لم يجد مندوحة عن مخالفته وساعدته الأقدار بمرض العاضد المرض الذي غلب على الظن أنه لا يعيش منه، فجمع صلاح الدين أصحابه إليه واستشارهم في ذلك، فاختلفوا فمنهم من أشار بقطع خطبة العاضد، ومنهم لم يشر بها.

فتقدم إلى جميع الخطباء بأن يخطبوا في الجمعة الآتية للمستضيء وكتب بذلك إلى سائر أعمال مصر في يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من المحرم عشية يوم عاشوراء مات العاضد لدين الله، وقامت عليه الواعبة، وعظمت ضوضاء الأصوات النادبة حتى كأن القيامة قد قامت.

وكتب صلاح الدين إلى نور الدين بموت العاضد وإقامة الخطبة للمستضيء كما أشار به مع ابن أبي عصرون، وكانت النفوس متطلعةً إلى إقامة خليفة بعد العاضد من أهله يشار إليه بالأمر فلم يرض ذلك صلاح الدين.

ومات العاضد وعمره إحدى وعشرون سنة، وكان كما يروي المقريزي كريماً سمحاً لطيفاً لين الجانب يغلب عليه الخير وينقاد إليه، وكان متغاليًا في مذهبه شديدًا على مَن خالفه.

٣- النصيرية:

وهي أحد حركات الباطنية، ومقرهم شمال سوريا بالجبال المعروفة بجبال النصيرية، ومنهم قسم في ولاية أطنة والاسكندرونة، وقد سموا أنفسهم بالعلويين، وينسبون لمحمد بن نصير من موالي بني نمير، وكان شيعياً إمامياً من أتباع إمامهم الحادي عشر الحسن العسكري، وقد أسس طائفة النصيرية على مبادئ معينة.

أهم مبادئهم:

أ- الديانة عندهم سر من الأسرار، ولا تلقن للنساء؛ لعدم استطاعتهن حفظ الأسرار، أما الرجل فلا يباح له بسر دينه إلا بعد أن يبلغ التاسعة عشرة ويقسم على اليمين ألا يبوح به ولو أريق دمه.

ب- بيدعون ألوهية عليّ والأئمة من بعده، ويزعمون أن علياً مسكنه السحاب، فإذا مر عليهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن.

ج- يقولون بتناسخ الأرواح، فالخيرة تحل في النجوم، والشريرة في أجسام الحيوانات النجسة.

د- يستعملون الأسماء الإسلامية ما عدا اسم عمر وأبي بكر، ولا يصومون رمضان، ويحتفلون بالأعياد المسيحية.

هـ- الجنة والنار رمز دنيوي، والصلوات الخمس أسماء علي، والحسن والحسين ومحسن وفاطمة، وذكر هذه الأسماء يغني عن غسل الجنابة وعن الوضوء وسائر شروط الصلاة.

و- إباحة الخمر، وأن أكبر الأبالسة عمر، ويليه أبو بكر فعثمان – رضي الله عنهم أجمعين ، وهؤلاء أخطر على الإسلام من اليهود، وقد أفتى ابن تيمية في زمانه بوجوب قتالهم وقتال الدروز.

٤- الدروز:

يعد هذا المسمى شائعاً بيننا في عصرنا الحاضر؛ حيث إن الدروز لهم نشاطٌ واضحٌ علي الساحة السياسية في بلاد الشام، وتدور العقيدة الدرزية حول محورٍ أساسيٍّ تؤلّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جلَّ عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نشتكين الدرزي، نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام، عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

- محور العقدية الدرزية هو: الخليفة الفاطمي أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي الملقب بالحاكم بأمر الله، ولد سنة ٣٧٥هـ، وقتل سنة ٤١١هـ ، كان شاذًّا في فكره وسلوكه وتصرفاته، شديد القسوة والتناقض والحقد على الناس، أكثر من القتل والتعذيب دون أسباب تدعو إلى ذلك.
- المؤسس الفعلي لهذه العقيدة هو: حمزة بن علي بن محمد الزوزني ٣٧٥هـ/ ٤٣٠هـ، وهو الذي أعلن سنة ٤٠٨هـ أنّ روح الإله قد حلت في الحاكم، ودعا إلى ذلك، وألف كتب العقائد الدرزية.
- محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين، كان مع حمزة في تأسيس عقائد الدروز إلا أنه تسرع في إعلان ألوهية الحاكم سنة ٤٠٧هـ ، مما أغضب حمزة عليه وأثار الناس ضده، حيث فرَّ إلى الشام، وهناك دعا إلى مذهبه، وظهرت الفرقة الدرزية التي ارتبطت باسمه على الرغم من أنهم يلعنونه؛ لأنه خرج عن تعاليم حمزة الذي دبّر لقتله سنة ٤١١ هـ

- الحسين بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع: وهو المبشر بدعوة حمزة بين الناس.
- بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف بالضيف: كان له أكبر الأثر في انتشار المذهب وقت غياب حمزة سنة ٤١١هـ ، وقد ألَّف كثيراً من نشراتهم مثل: رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ، ورسالة التعنيف والتهجين وغيرها، وهو الذي أغلق باب الاجتهاد في المذهب حرصاً على بقاء الأصول التي وضعها هو وحمزة والتميمي
- أبو إبراهيم إسماعيل بن حامد التميمي: صهر حمزة وساعده الأيمن في الدعوة، وهو الذي يليه في المرتبة.

ومن الزعماء المعاصرين لهذه الفرقة:

- كمال جنبلاط: زعيم سياسي لبناني أسس الحزب التقدمي الاشتراكي، وقتل سنة ١٩٧٧م.
- وليد جنبلاط: وهو زعيمهم الحالي وخليفة والده في زعامة الدروز وقيادة الحزب.
- د. نجيب العسراوي: رئيس الرابطة الدرزية بالبرازيل.
- عدنان بشير رشيد: رئيس الرابطة الدرزية في استراليا.
- سامي مكارم: الذي ساهم مع كمال جنبلاط في عدة تآليف في الدفاع عن الدروز.
- الناس في الدرزية على درجات ثلاث:

١- العقل: وهم طبقة رجال الدين الدارسين له والحفاظ عليه، وهم ثلاثة أقسام: رؤساء، أو عقلاء، أو أجاويد، ويسمى رئيسهم شيخ العقل.

٢- الأجاويد: وهم الذين اطلعوا على تعاليم الدين والتزموا بها.

٣- الجهال: وهم عامة الناس.

الأفكار والمعتقدات:

- يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله، ولما مات قالوا بغيبته وأنه سيرجع.
- ينكرون الأنبياء والرسل جميعاً ويلقبونهم بالأبالسة.
- يعتقدون بأن المسيح هو داعيتهم حمزة.
- يبغضون جميع أهل الديانات الأخرى والمسلمين منهم بخاصة ويستبيحون دماءهم وأموالهم وغشهم عند المقدرة.
- يعتقدون بأن ديانتهم نسخت كل ما قبلها، وينكرون جميع أحكام وعبادات الإسلام وأصوله كلها.
- حج بعض كبار مفكريهم المعاصرين إلى الهند متظاهرين بأن عقيدتهم نابعة من حكمة الهند.
- ولا يكون الإنسان درزياً إلا إذا كتب أو تلى الميثاق الخاص.
- يقولون بتناسخ الأرواح، وأن الثواب والعقاب يكون بانتقال الروح من جسد صاحبها إلى جسدٍ أسعد أو أشقى.
- ينكرون الجنة والنار، والثواب والعقاب الأخرويَّيْن.
- ينكرون القرآن الكريم، ويقولون إنه من وضع سلمان الفارسي، ولهم مصحف خاص بهم يسمى المنفرد بذاته.
- يرجعون عقائدهم إلى عصور متقدمة جدًّا ويفتخرون بالانتساب إلى الفرعونية القديمة وإلى حكماء الهند القدامى.
- يبدأ التاريخ عندهم من سنة ٤٠٨هـ ، وهي السنة التي أعلن فيها حمزة ألوهية الحاكم.

- يعتقدون أن القيامة هي رجوع الحاكم الذي سيقودهم إلى هدم الكعبة، وسحق المسلمين والنصارى في جميع أنحاء الأرض، وأنهم سيحكمون العالم إلى الأبد، ويفرضون الجزية والذل على المسلمين.
- يعتقدون أن الحاكم أرسل خمسة أنبياء هم: حمزة، وإسماعيل، ومحمد الكلمة، وأبو الخير، وبهاء.
- يُحرمون التزاوج مع غيرهم، والصدقة عليهم ومساعدتهم، كما يمنعون التعدد وإرجاع المطلقة.
- يَحرمون البنات من الميراث.
- لا يعترفون بحرمة الأخت والأخ من الرضاعة.
- لا يقبل الدروز أحداً في دينهم، ولا يسمحون لأحد بالخروج منه.
- ينقسم المجتمع الدرزي المعاصر. كما هو الحال سابقاً . من الناحية الدينية إلى قسمين:
  - الروحانيين: بيدهم أسرار الطائفة، وينقسمون إلى: رؤساء، وعقلاء، وأجاويد.
  - الجثمانيين: الذين يعتنون بالأمور الدنيوية، وهم قسمان: أمراء، وجهال.
  - أما من الناحية الاجتماعية فلا يعترفون بالسلطات القائمة إنما يحكمهم شيخ العقل ونوابه وفق نظام الإقطاع الديني.
  - يعتقدون ما يعتقده الفلاسفة من أن إلههم خلق العقل الكلي، وبواسطته وجدت النفس الكلية، وعنها تفرّعت المخلوقات.
  - يقولون في الصحابة أقوالاً منكرة، منها قولهم: الفحشاء والمنكر هما (أبو بكر وعمر) رضي الله عنهما.

- التستر والكتمان من أصول معتقداتهم، فهي ليست من باب التقية إنما هي مشروعة في أصول دينهم.
- مناطقهم خالية من المساجد، ويستعيضون عنها بخلوات يجتمعون فيها ولا يسمحون لأحد بدخولها.
- لا يصومون في رمضان، ولا يحجون إلى بيت الله الحرام، وإنما يحجون إلى خلوة البياضة في بلدة حاصبية في لبنان، ولا يزورون مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم -لكنهم يزورون الكنيسة المريمية في قرية معلولا بمحافظة دمشق.
- لا يتلقى الدرزي عقيدته، ولا يبوحون بها إليه، ولا يكون مكلفاً بتعاليمها إلا إذا بلغ سن الأربعين وهو سن العقل لديهم.
- يصنف الدروز ضمن الفرق الباطنية؛ لإيمانها بالتقية، والقول بالباطن وبسرية العقائد.
- تؤمن بالتناسخ بمعنى أن الإنسان إذا مات فإن روحه تتقمص إنساناً آخر يولد بعد موت الأول، فإذا مات الثاني تقمصت روحه إنساناً ثالثاً وهكذا في مراحل متتابعة للفرد الواحد.
- للأعداد خمسة وسبعة مكانة خاصة في العقيدة الدرزية.

تلك هي معتقدات الدروز ولهم نشاط سياسي واضح في لبنان وسوريا وفلسطين، بل إن من دروز فلسطين من حصل علي الجنسية الإسرائيلية، فانخرط منهم الكثير في الجيش الإسرائيلي.

٥- الميمونية:

والحق إنني بحثت في كثير من المصادر والمراجع عن معلومات لتلك الفرقة، فلم أجد إلا اليسير، فهي تُنسب إلى عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي، وهو أحد أقطاب فرقة الإسماعيلية، وتقوم دعوة هذه الحركة على القول بإمامة إسماعيل، ويزعمون أن العمل بظواهر الكتاب والسنة حرام، ويجحدون المعاد.

قال البغدادي : هؤلاء اتباع رجل من الخوارج الشخرية كان اسمه ميمونا وكان على مذهب العجاردة من الخوارج ثم انه خالف العجاردة في الارادة والقدر والاستطاعة وقال في هذه الابواب الثلاثة بقول القدرية المعتزلة عن الحق وزعم مع ذلك أن أطفال المشركين في الجنة"([1]).

وعدهم المؤرخون وأصحاب كتب الفرق خارجون عن ملّة الإسلام وذلك لأنهم أباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ورأوا قتال السلطان ومن رضي بحكمه فرضا فأمّا من أنكره فلا يرون قتله إلّا اذا أغار عليهم أو طعن في دينهم أو كان دليلا للسلطان.([2])

[1]- الفرق بين الفرق للبغدادي ص (٢٨٠) .
[2]- الملل والنحل للشهرستاني (١ – ١٢٩) .

٦ - السنانية:

أحد حركات الإسماعيلية، وتنسب لسنان بن سلمان بن محمد بن راشد مقدم الإسماعيلية وصاحب دعوتهم في قلاع الشام وأصله من البصرة، كان في حصن ألموت، قرأ كتب الفلسفة والجدل، وانتقل إلى الشام في أيام السلطان نور الدين محمود، فجد في إقامة الدعوة إلى مذهبه، واستولى على عدة قلاع بالشام، أقام فيها ثلاثين سنة، وإليه تنسب الطائفة السنانية، توفي سنة ٥٨٨ هـ ، وهو عند الإسماعيلية أحد الائمة الذين ينحدرون من نسل الامام أحمد الوفي، وقبره في قمة جبل مصياف (جبل المشد أو المشهد العالي)هو وأبوه واثنين من الأئمة الإسماعيلية.

٧- البابية:

ونصل الآن مع حركة أخرى من حركات الإسماعيلية ألا وهي الحركة البابية التي عرفت ظهوراً في إيران على يد المرزا محمد علي الملقب بالباب المولود في سيراز سنة ١٨١٩ م ، وقد ادّعى هذا الشخص كغيره من بعض رجال الإسماعيلية أنه هوالمهدي المنتظر،بل الأكثر من ذلك أنه قد ادّعى النبوة والرسالة مدعياً أن الله قد أوحى إليه بكتاب (البيان) الناسخ للتوراة والإنجيل والفرقان، ثم ادّعى أنه المسيح المنتظر، ثم ارتقى إلى ادّعاء الألوهية، وقدعهد بالخلافة مِن بعده إلى أحد أتباعه وهو مرزا يحيى الملقب بصبح أزل، ومن بعده إلى أخيه حسين الملقب بالبهاء، ولما قُتل الباب بفتوى من العلماء سنة (١٨٥٠ م) تنازع الأمر من بعده يحيى وأخوه حسين وأخذ كل منهما يدّعي بأن الله أوحى إليه بكتاب يصدق دعواه ويكذب دعوة أخيه، وكانت الغلبة في هذا النزاع للبهاء، فظهرت البهائية التي لنا معها وقفة خلفاً للبابية.

٨-البهائية

لعلنا جميعاً قد سمعنا هذا الاسم يتردد كثيرًابعد ثورة يناير (٢٠١١ م) في الإعلام المصري، الذي أشار إلى جماعة يسمون البهائية حيث إنهم يطالبون الحكومة المصرية بأنْ تعتمد ديانتهم البهائية في بطاقتهم الشخصية، وقد دار حول هذا الأمر جدلٌ واسعٌ في أوساط المحاكم المصرية، وبالطبع فقد رُفض هذا المطلب.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه من هم البهائية؟ وإلى مَن تُنسب؟ وفي أي الأماكن يعيشون؟

أقول: إن البهائية هم أتباع المرزا حسين علي الذي لقّب نفسه بالبهاء المولود في بلدة نور من ضواحي مازندران سنة (١٢٢٣هـ)، قام في أول أمره بخلافة الباب، ثم تدرج إلى المهدوية ثم النبوة والرسالة ثم الربوبية والألوهية، وقد عهد بالخلافة من بعده إلى ابنه عباس المسمى عبد البهاء، وقددان البهائيون لكل خليفة بعد البهاء وقدّسوه وعبدوه مثل عبادتهم للبهاء، وقد نزل خليفتهم بمصر سنة(١٨٩٢ هـ)، وأسّس فيها الدعوة للبهائيين، وهلك البهاء في مدينة عكا سنة(١٨٩٢م).

عقائد البابية والبهائية:

وللبابية والبهائية عقائد واحدة تقوم على النحو التالي:

أ- أن للوحي تأويلات سامية ومفاهيم خفية لا يجليها إلا ربها،وبالطبع فليس هو الرب الذي نعرفه نحن المسلمين، لكن المقصود بالرب عندهم هو (الباب أو البهاء) وما يعلم تأويله إلا الله: أي الباب أو البهاء.

ب- كذلك ادّعى المذكور الذي يسمى البهاء المهدوية ثم الرسالة، وأنه نزل عليه كتاب الأقدس الذي نسخ جميع ما تقدمه من الكتب السماوية، ثم ادّعى الألوهية وأمر بعبادة البشر.

ج- إنكار معجزات الأنبياء، والبعث والحشر، والوعد والوعيد،والجنة والنار، ولهذا ارتكبوا تأويل النصوص الدالة عليها بما يتنافى مع اللغة والدين.

د- نسخ جميع الأديان ورسوم عبادتها والحدود الواردة فيها لعدم صلاحيتها للعالم في عصر التقدم، ولهذا جاء البهاء بدينه الجديد للأحمر والأسود، وقد رود في أحكامه أن الصلاة تسع ركعات في البكور والزوال والآصال، وقد بطلت صلاة الجماعة، والقبلة عكا، والحج إليها للرجال دون النساء، وتحريم الحجاب، وإباحة السفوروالاختلاط، وجعل الحدود عقوبات مادية وغير ذلك من مفترياتهم وكذبهم.

قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو

أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ " ([1]).

طريقهم في الدعوة إلى مذهبهم:

أ- مخاطبة أهل كل ملة ودين بما يوافق هواهم، فتجد الداعية منهم مسلماً مع المسلمين، ويهودياً مع اليهود، يوهم أهل كل دين بأنه منهم، وأنه يريد الإصلاح وإزالة الضغائن، والتوفيق بين أهل المذاهب، فإذا آنس الضعف من أحد أخذ يشككه في دينه وأوردعليه الشبه، وأول الآيات بما ينطبق على مزاعمه في دينه، ثم يدعوه إلى عبادة البشروالعياذ بالله، وهذا شأنهم في ممالك الشرق، خداع ونفاق مع المسلمين، يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر، أما في أوروبا وأمريكا فدعوتهم جهاراً لا يخشون حساباً.

تلك هي الحركة البهائية ومن أبرز شخصياتها التي كانت تصرح بنسبتها إليها في عصرنا الحاضر هو الفنان التشكيلي المعروف حسين بيكار الذي من أصل قبرصي تركي، وفي عام (١٩٧٥ م) ألقت الحكومه المصرية القبض على مجموعة من البهائيين يترأسهم الفنان حسين بيكار، وكان عددهم (٤٨)، واعترف وقتها بأنه كان مكلفًا من قِبل بيت العدل الإسرائيلي ليتولى قيادة كل أماكن العبادة الخاصة بالبهائيين في مصر.

[1] - سورة الأنعام آية (٩٣) .

٩ - القاديانية الأحمدية:

ومن حركات الإسماعيلية التي نجد لها حضوراً قوياً هي حركة القاديانية أو الأحمدية حيث نجد لها منبراً إعلامياً مشهوراً عبر قناة تلفزيونية تسمى الأحمدية، ولها نشاط ملموس داخل بريطانيا، فمَن هم هؤلاء وإلى مَن ينتسبون؟

القاديانية هم أتباع غلام أحمد المولود في (قاديان) مركز بجانب مديرية كورداسور بالهند سنة (١٢٥٢ هـ)، وقد ظلوا فرقة واحدة مدة حياته وأيام خليفته نور الدين، وفي آخر حياة نور الدين ابتدأ الخلاف، وكان من أثره انقسامها بعد وفاته إلى شعبتين:

أ- شعبة قاديان: ورئيسهم محمود بن غلام أحمد.
ب- ب -شعبة لاهور: وزعيمهم محمد علي الذي ترجم القرآن إلى اللغة الانجليزية.

والشعبة الأولى تدين بنبوة أحمد، والثانية تعتقد أنه مُصلِح، وهذا خلاف ما ورد في كتاب مبتدع النحلة من أنه مهدي ثم نبي مرسل ثم عيسى الموعود به، وتوفي أحمد بعد حياة حافلة بنبوة تحرّم الجهاد، وتدعو إلى مساعدة الإنجليز، لأنهم أرباب نعمته، وأصحاب الفضل عليه في حمايته ونشر دعوته.

ولعل ذلك هو السبب الأساسي الذي دفع الحكومة البريطانية أن تجعل من أرضها مأوى لنشر تلك الحركة في بقاع العالم المختلفة.

مبادئ القاديانية:

١- القول بعدم ختم النبوة، وتأويل ما يدل على ختمها.
٢- غلام أحمد المهدي والنبي المؤيد لشريعة محمد - صلى الله عليه وسلم -وهو المسيح الموعود به.

٣- باب الوحي مفتوح للناس، وقد نزل عليه ويسمعه بعض أتباعه.

٤- تحريم الجهاد والدعوة لطاعة ولاة أمر الإنجليز.

٥- قاديان ومسجدها تماثل مكة ومسجدها، والحج إليها مثل الحج إلى مكة، فهي ثالث الأماكن المقدسة.

٦- تكفير من لا يصدق به من المسلمين، وتمثيلهم باليهود الذين كذبوا المسيح يعني نفسه (في السلسلة المحمدية).

٧- تفضيله وتفضيل أتباعه على جميع الأنبياء وأتباعهم.

٨- ادعاؤهم أن المعنى المقصود من الآيات لا يدركها إلا المسيح القادياني، وإنكارهم أن سنة الرسول أصل في التشريع، وهم يدعون الناس عن طريق أنهم مسلمون مصلحون.

والقاديانية والبهائية أخطر أصحاب المذاهب على الأمم الإسلامية وأشد كفراً من اليهود والنصارى والمجوس، ويبطل دعوتهم ما قدمناه من ثبوت عموم رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - وختمها للرسالات، وهم منتشرون في البلاد الإسلامية، يعاونهم الاستعمار بسلطانه الخفي وماله؛ لأنهم أعوانه وأداته في إشاعة الفساد بين المسلمين.

١٠- النزارية:

ونواصل الحديث عن حركات الإسماعيلية لنقف الآن عند إحدى الحركات القديمة ألا وهي النزارية، حيث تمتد أصول هذه الحركة إلى العهد الفاطمي حيث تُنسب إلى نزار المصطفى لدين الله بن مَعَد المستنصر بالله.

وقد ظهرت هذه الحركة عقب موت المستنصر بالله سنة ٤٨٧هـ ، حيث نشب خلاف بين مَن رءوا أنّ ابنه نزار هو الأحق بالخلافة، وبين مَن رءوا أنّ ابنه الآخر أحمد المستعلي بالله هو الإمام.

كان وكيل المستنصر القوي الأفض لشاه نشاه مؤيدًا للمستعلي وأكثر الأطراف المتنازعة نفوذاً، مما حسم الخلاف لصالح هذا الأخير فأصبح الإمام التاسع عشر، وسُجن نزار ومات لاحقا في سجنه في الإسكندرية، وفرّ ابنه الهادي في أتباعه إلى آسيا الوسطى محدثين بذلك انشقاقاً جديداً في الإمامة، بين مستعلية ونزارية.

وقد اغتال النزارية منصور الآمر بأحكام الله بن أحمد المستعلي بالله سنة ٥٢٤هـ ، انتقاما لما يعتقدون أنه اغتصاب للعرش الفاطمي، ولم يكن قد سمّى خليفة، فحدث انشقاق آخر في المستعلية بين الحافظية والطَّيبية.

حينئذ برزت شخصية الحسن بن الصبّاح داعيةً إسماعيليًّا، وقد فرض نفوذه على قلعة ألموت، وعندما فرّ الهادي بن نزار من مصر عقب موت أبيه وتولي عمه المستعلي بالله لجأ إليه فنصره، وبدؤوا نضالًا مسلحًا بهدف استعادة الخلافة الفاطمية، ونشر الدعوة الإسماعيلية وحماية الإسماعيلين، وكان قوام تلك الحركة المسلحة فدائيين عُرفوا بالحشاشين.

وقد ظل الأئمة في ألموت من نسل الهادي متوارين عن العامة حتى أعلن حسن الثاني بن القاهر عن نفسه إماما.

عقائدهم:

تقوم عقيدة النزارية علي مبادئ تشترك كثيراً مع مبادئ الإسماعيلية في عقائدهم العامة؛حيث يؤمنون بالأركان السبعة للإيمان، أي بالصلاة والصيام والزكاة والحج والطهارة والجهاد والشهادة، وبوجود تفسير باطني للقرآن، إلا أنّه على غير فرق أخرى مثل:السبعية والمستعلية الطَّيِّبية ولاحقًا الدروز، فإنّ النزارية لا يؤمنون بغياب الإمام، فوفقا للتقليد النزاري فالإمامة متصلة مِن عليّ إلى الإمام الحضار أغاخان بنسل حسين بن عليّ.

وللنزارية كتاب مقدس يلي القرآن في أهميته هو كتاب الجنان الذي لا يخلو منه بيت نزاري في زماننا.

هذا ملخص عقيدتهم، ومن الأئمة الذين عُرفوا بانتمائهم لهذه الحركة :

نزار المصطفى لدين الله بن معد المستنصر بالله، الهادي بن نزار، مستورالمهتدي بن الهادي، مستورحسن القاهر، مستورحسن الثاني بن القاهر أول إمام يعلن عن نفسه في قلعة ألموت، نورالدين محمد الثاني بن حسن الثاني، جلال الدين حسن الثالث بن محمد الثاني، علاءالدينمحمد الثالث بن حسن الثالث، وقد أنكر علنا ادعاء جده بانحداره من سلالة الأئمة الفاطميين، ركن الدين خورشاه بن محمد الثالث، استسلم له ولاكو خان سنة ١٢٥٦، وقتل أثناء عودته من عند قوبلاي خان.

وبعد سقوط ألموت في يد المغول انقسم النزارية إلى فرق تتبع كل منها إماماً من سلالة أئمة ألموت.

أما عن النزارية في هذا العصر فهم يشكلون النسبة الغالبة من بقية حركات الإسماعيلية، فقد اندمج السبعية مبكرا في الفرق الإسماعيلية الأخرى، وانتهت المستعلية الحافظية بانتهاء الخلافة الفاطمية في مصر في القرن الثاني عشر الميلادي.

١١- الأغاخانية:

هي حركة نبعت من الاسماعيلية، ولها نشاط ملحوظ في عصرنا الحاضر، وترجع أصول هذه الحركة إلى القرن التاسع عشر الميلادي حين ظهر في إيران رجل شيعي إسماعيلي اسمه حسن علي شاه، وجمع حوله عدداً كبيراً من الإسماعيلية وغيرهم، فأرهبوا القوافل، وهاجموا القرى حتى ذاع صيته، وقويت شوكته، وخشيته الأسرة القاجارية الحاكمة في إيران، فأعجب الناس بقوته، وانضموا تحت لوائه طمعاً في المكاسب المادية التي وعدهم بها.

وكان الإنجليز في ذلك الوقت يعملون على بسط الثورة ضد شاه إيران، وقام حسن علي بالثورة ضد الشاه القاجاري بعد أنوعده الإنجليز بحكم فارس، لكن الثورة لم يُكتب لها النجاح؛ حيث قبض عليه الشاه وسجنه، فتدخل الإنجليز للإفراج عنه، فتحقق لهم ذلك على أن يُنفى خارج إيران، فزين له الإنجليز الرحيل إلى أفغانستان، فلما وصلها كشف أمره الأفغانيون، فاضطر إلى الرحيل إلى الهند فأقام بها، واتخذ من مدينة بومباي مقرًا له، واعترف به الإنجليز إماماً للطائفة النزارية الإسماعيلية، ولقبوه بـ(أغاخان). وتجمع الإسماعيليون في الهند حوله، فلما رأى فيهم الطاعة العمياء، كما هي طاعة الإسماعيليين لأئمتهم، قوي عوده، وأخذ ينظم شؤون طائفته إلى أن توفي سنة ١٨٨١م.

ويعتبر حسن علي شاه مؤسس الأسرة الآغاخانية، وأول إمام إسماعيلي يلقب بـ(أغاخان)، وهو الإمام السادس والأربعين في ترتيب الأئمة الإسماعيلية في رأي هذه الفرقة، وصارت هذه الفرقة من الإسماعيلية تعرف بـ(الأغاخانية).

ولما مات خلفه ابنه أغاخان الثاني في الإمامة، ولما مات تولى الأغاخان الثالث، وهو سلطان محمد شاه الذي وصلت الأغاخانية في عهده إلى مكانة كبيرة وانتشار، وكان من أغنى أغنياء العالم، ولما توفى بقصره في سويسرا، أعدت له مقبرة ضخمة في جزيرة

النباتات في أسوان في مصر، ودفن فيها سنة ١٩٥٩م، وتعد تلك المقبرة مزاراً سياحياً، ثم تولى من بعده الأغاخان الرابع كريم بن علي وهو الخليفة الحالي للطائفة.

عقائدهم:

١- بنى الإسماعيليون ومنهم الأغاخانيون معتقدهم في الألوهية على ما أسموه "التنزيه والتجريد"، وانتهوا إلى تعطيل الله سبحانه عن كل وصف، وتجريده من ك لحقيقة، وقالوا: " لا هو موجود، ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز..."، ونفوا أسماءه وصفاته بزعم أنه فوق متناول العقل.

وصرفوا صفات الله إلى أول مبدع خلقه الله بزعمهم وهو العقل الأول، واعتبروا أن المخلوقات كلها وجدت بواسطة العقل والنفس!

حيث يقول مصطفى غالب، وهو من الإسماعيلية المعاصرين، في كتابه " الثائر الحميري الحسن الصباح" : " والعقل الأول أو المبدع الأول في اعتقاد الإسماعيلية هو الذي رمز له القرآن بـ "القلم" في الآية الكريمة: "ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ"[١]، وهو الذي أبدع النفس الكلية التي رمز لها القرآن أيضاً بـ " اللوح المحفوظ" ، ووصفت بجميع الصفات التي للعقل الكلي، إلاّ أن العقل كان أسبق إلى توحيد الله فسمي بـ"السابق"، وسميت النفس بـ " التالي"، وبواسطة العقل والنفس وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية، من جماد وحيوان ونبات وإنسان، وما في السماوات من نجوم وكواكب".[٢]

---

[١]- سورة القلم آية (١) .
[٢]- تاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب ص (٣٥٨ – ٣٥٩) .

٢- وفي مقابل تعطي لصفات الله وأسمائه، ونفي صفة الخلق عنه، يصرف الأغاخانيون صفات الربوبية والألوهية إلى أئمتهم، فقد ادّعى الأغاخان الثالث أن الإله متجسم فيه شخصيا، وأن آلافاً من البشر يعتقدون ذلك. ويشير الدكتور محمد كامل حسين رحمه الله في كتابه " طائفة الإسماعيلية " إلى حادثة جرت له مع أغاخان الثالث محمد شاه الحسيني تؤكد ادعاءه للألوهية، فقد قال له: لقد أدهشتني بثقافتك وعقليتك فكيف تسمح لأتباعك أن يدعوك إلاها؟ فضحك أغاخان طويلاً وقال للدكتور محمد كامل: "إن القوم في الهند يعبدون البقرة، ألست خيرًا من البقرة!؟"([1]).

٣- يعتقدون أنّ النبوة مكتسبة وليست هبة من الله، والنبي عندهم عبارة عن شخص فاضت عليه من " السابق" بواسطة " التالي" ، أي العقل والنفس قوة قدسية صافية، ذلك أنّ الإنسان تميز عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض الأنوار عليه، وأنّ النبي يمثل أعلى درجات هذا الاستعداد، وأن هذه القوة القدسية الفائضة على النبي لا تستكمل في أول حلولها، وأن كمال هذه القوة أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت أي الإمام.

وهم بهذا الاعتقاد يعتبرون الإمامة مكملة للنبوة واستمرارًا لها، واشترطوا على النبي قبل أنْ يصل إلى مرتبته أنْ يمرّ بمرتبة الولي، لأنه يجمع في نفسه الولاية والنبوة والرسالة.

وتأكيداً لهذه الفكرة يقول د. مصطفى غالب: " ولمّا كانت النبوة وقتية زائلة فقد شاءت إرادة المبدع أنْ تحل الإمامة محلها وتتمها، وتكون خالدة إلى الأبد كدين وجدت

[1] - طائفة الإسماعيلية / محمد حسين كامل ص (١١٣)

لسعادة البشرية، وهي موجودة في كل عصر وزمان، ولاتزال باقية مرآة صادقة لذات الله، ترشد وتقود البشرية إلى الصراط المستقيم" [١].

ويعتقدون أن جميع الأنبياء لم يأخذوا التأييد ولم يتصل بهم الوحي إلاّ عن طريق وسطاء أسموهم بالحدود الروحانية الخمسة.

٤- يعتقدون أنّ رسالة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ليست آخر الرسالات، بل هي حلقة من حلقات تتابع النبوة، التي انتهت بظهور إمامهم السابع محمد بن إسماعيل بن جعفر كما يزعمون، واعتقدوا أنه فاتح عهد جديد، وصاحب شريعة نسخت شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم – وفيما يتعلق بنسخ الشريعة، فإننا نجد كلاماً لا لبس فيه حول هذا الموضوع يصرح به الأغاخان الرابع كريم إذ يقول في مقابلة صحفية في ١٩٧٩/٩/٦:" ليس القرآن مجموعة قانونية، وأعتقد أنّ كل مسلم يقول ذلك، ما يشار إليه اليوم بالشريعة الإسلامية فهو تصنيف لنظريات وضعها الفقهاء الذين عاشوا بعد نزول القرآن الكريم وبعد عصر النبي – صلى الله عليه وسلم - بفترات طويلة. والشيء المهم في القرآن مثلاً هو الأحكام الموجهة إلى خير المجتمع، فإذا كانت هذه نقطة البداية فإني أستطيع القول أن أشياء كثيرة تطبق الآن في أجزاء من العالم الإسلامي ينبغي ألا تكون مطبقة، هذا هو موقفي، لأنني أحب أن أبدأ بالقرآن وليس باجتهادات ظهرت بعد عصر النبي بخمسة أو ستة أجيال).

٥- يعتقدون أن للإسلام سبعة أركان أو دعائم هي: الولاية [٢]، ثم الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد، وجعلوا الولاية الركن الأساسي.

---

[١]- كتاب مفاتيح المعرفة ، د. مصطفى غالب ص (١٦٣ – ١٦٤) ،

[٢]- الولاية: اعتقاد وصاية علي بن أبي طالب وإمامة الأئمة المنصوص عليهم من ذريته، وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ووجوب طاعتهم دون غيرهم.

يقول عارف تامر، وهو أحد أعلام هذه الفرقة في سوريا: (إن ولاية الإمام أحد أركان الدين ودعائمه، بل إنها أفضل هذه الدعائم وأقواها، حيث لا يستقيم هذا الدين إلاّ بها، والإمامة هي المركز التي تدور عليه دائرة الفرائض، فلا يصح القيام بهذه الفرائض إلاّ بوجوده، والضرورة عنده تحتم وجوب استمراريتها مدى الدهر، ذلك أنّ الكون لا يمكن له البقاء لحظة بدون إمام، وأنه لو فُقد هذا الإمام ساعة واحدة لفسد الكون وتبدد"([1]). وبسبب مفهومهم هذا للولاية والإمامة، فإنهم اسبغوا على أئمتهم صفات الربوبية والألوهية، وخصّوهم بمعرفة الظاهر والباطن.

٦- يؤمن الإسماعيلية، ومنهم الأغاخانيون أنّ للإسلام ظاهراً وباطناً، ولذا فإنهم يؤولون الغيبيات والفرائض وتعاليم الدين تأويلات فاسدة، فإنهم يتصورون يوم القيامة تصورًا خاصًا، فهو عندهم عبارة عن: قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية والآلات الجسمانية، وقيام الشرائع والأديان بظهور صاحب الزمان(الإمام). والبعث يعتبرونه: انتباه النفوس من غفلتها لتتلقى العلوم والمعارف التي تهذبها وتنقيها من أدران عالم الكون والفساد، لتتمكن من اللحاق بالنفس الكلية حيث السعادة والهناء السرمدية [٢] . ويؤولون العذاب والعقاب بما تجده النفوس من الآلام والأوجاع والأسقام، ومفارقة المؤلفات بهجوم الحوادث والنكبات.

٧- وليست الفرائض ببعيدة عندهم عن التأويل الباطني؛ فالصلاة هي صلة الداعي إلى دار السلام، والزكاة إيصال الحكمة إلى المستحق، والصوم الإمساك عن كشف حقائق النواميس الشرعية من غير أهلها، والحج هو القصد إلى صحبة السادة الأئمة من أهل البيت.

---

[1]- كتاب الإمامة في الإسلام لـ عارف تامر ص (٦٩ – ٦٩) .
[2]- مفاتيح المعرفة ل / مصطفى غالب ص (١٠٤) .

والربا يفسرونه بالرغبة في الإكثار، وطلب الحطام بإفشاء الأسرار، والمسكر الحرام ما يصرف العقل عن النوم إلى طلب معرفة الإمام ومشاهدة أنواره المحيطة بالخاص والعام. [1]

ويتوجه بعض الأغاخانيون بقبلتهم إلى حيث يقيم إمامهم، وهم لا يقيمون الصلاة مع المسلمين، ولا يسمون أماكن عبادتهم مساجد إنما بيت الجماعة، والصلاة عندهم عبارة عن مجموعة من السجدات، وهم يجمعون في صلاتهم بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء.

ويعتبرون قبلة المسلمين الكعبة ليست سوى حجارة، ويقولون: إن الحج إليها في بداية الإسلام كان نظرًا للمستوى العقلي للناس في ذلك الوقت، وبدلاً من ذلك يفضلون الذهاب للأغاخان وزيارته، وتقديم الولاء والإجلال له، وبهذا يكون قد أدى الأغاخاني الحجَ بزعمهم، ويقولون مستنكرين حج المسلمين لبيت الله الحرام : ما الأفضل : تحج إلى حجارة لا تعقل أم تزور إمامًا إنسانًا حيًّا معلمًا ؟!

وكما هو واضح فتلك أفكار وعقائد لا يقبلها عقل ولا منطق، ولا يستطيع إنسان أيا كان فكره أن يستوعب مثل هذه الخرافات، التي لا نجد لها قاعدةً أو أساسًا يمكن عليه إن نخرج بحكم صحيح يمكن الحوار حوله.

[1]- انظر أربع رسائل إسماعيلية لعارف تامر ص (٧٠) .

١٢- البُهرة:

البُهرة هي الوسط من كل شيء، أو الوسط من الطريق، وهو في الأصل اسم لقبيلة من اليمن، وهي من الحركات التي نجد لها حضورًا ملموسًا في عصرنا الحاضر.

والبهرة فرقة باطنية، وهم إسماعيلية مستعلية، يعترفون بالإمام المستعلي ومن بعده الآمر ثم ابنه الطيب، ولذا يُسمون بالطيبية، وهم إسماعيلية الهند واليمن، تركوا السياسة، وعملوا بتجارة البهارات، ووصلوا إلي الهند، وانتشر فكرهم الشيعي فيها وكذلك في بنجلاديش وباكستان، واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعُرفوا بالبهرة.

والبهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر في اللغة الكجراتية الهندية، ويطلق عليهم رجل الشارع اليمني اسم المكارمة، لكنهم في الأصل داؤودين وهم أبناء شرقي حراز، أما من يطلق عليهم المكارمة فهم يقطنون غربي حراز كالمزانعة وكاهل وشبام واسمهم السليمانيون، وهم المكارمة لكن داعيهم ليس محمد برهان الدين بل اسمه سليمان، وهو يقطن في نجران بالمملكة العربية السعودية.

والبهرة أصلهم فاطمي، خرجوا من مصر والدولة الفاطمية قائمة، وعند زوالها من مصر واغتيال الخليفة العشرين (العامر بالله) ادعى قبل موته التنبؤ ببداية مرحلة من الفوضى، وأن استمرار دعوته لابد أن يكون في الستر والخفاء، وقد ورِث عنه ابنه الأوسط (الطيِّب) الإمامة، وهاجر مع أتباعه إلى اليمن، وقد تَسلسل الدعاة في اليمن أربعة تقريبًا، ثم نَقلُوا مركز الدعوة إلى الهند.

ويُحاول البهرة أن يكون طراز حياتهم فاطميًّا، فقد كانوا أولاً في المدينة إلى أيام جعفر الصادق، ثم انتقلوا إلى عدة مراكز وأرادوا أن يقيموا دولة، فأقاموها أولاً في (أبكجان) بالجزائر، ثم بنوا عاصمتهم (المهدية) في تونس، واختاروا (المنصورية) عاصمة لهم، ثم القاهرة.

وقد تم ذلك في عهد أربعة أئمة: المهدي بالله، القائم بأمر الله، المنصور بالله، ثم المعز لدين الله الذي نقل العاصمة إلى القاهرة، وبعده جاء العزيز بالله، والحاكم، والظاهر، والمستنصر، والمستعلي، والآمر بأحكام الله، والأخير هو الإمام العشرون في عداد الأئمة الفاطميين بعد علي بن أبي طالب، وابنه (الطيِّب) هو الحادي والعشرون، والإمام الآمر هو الذي أمر بحمل ابنه الإمام وإبعاده عن القاهرة إلى بقعة أَخفَوها عن الناس، ثم أقاموا لهم في اليمن نائبًا.

فالفاطميون يعتقدون أن الأئمة من نسل الإمام الطيِّب، وأن النواب والدعاة تسلسلوا من نسله إلى وقتنا هذا، فوجود الداعي يدل على وجود الإمام، وسوف يأتي يوم يظهر فيه الإمام.

يقول الأمير الدكتور يوسف نجم الدين: نحن نختلف مع الاثني عشرية، فالذي اختفى عندهم هو الإمام الثاني عشر، والذي سيظهر بشخصه يومًا ما، أما نحن فنقول: إن الذي اختفى هو (الطيب)، وحين انتهى عمره الطبيعي خلفه ابنه إمامًا، وهكذا فنحن لا نعتقد أن الإمام يعيش فوق عمره الطبيعي.

وسلاطين البهرة هم النواب، ورتبهم الدينية هي رتبة الداعي المطلق، واشتُهروا بالسلاطين في اليمن والهند، وهم دون الأئمة رتبة، والعصمة للإمام ومن ينوب عنه من الدعاة حتى لا يخرج عن المذهب.

وقد نشطت الدعوة في اليمن منذ أواخر القرن الحادي عشر؛ حيث كانت مقرا لداعيهم، وانتشرت عن طريق التجارة في شرقي أفريقيا وغربي الهند، وهم مشهورون بمزاولة التجارة والثراء العظيم، ولابد أن يدفع كل بالغ مبلغا من المال للجماعتين على دفعتين في العام يتناسب مع ثروته وأهمية المناسبة، ويذهب جزء من المبالغ إلى خزينة السلطان، ويحتفظ مندوبوه المعروفون بالعمّال في الأقاليم بالباقي، ويحصل كل منهم على مرتب ثابت ومقر لإقامته بالمجان، فضلاً عن مكافأة من خزينة المجلس للطائفة، ولهذا يطمع الكثيرون في هذه المناصب.

عقيدتهم:

هم يؤمنون بالله وبالرسول، ويصلون ويحجون ويزكون، ويصومون مثلهم مثل أي مسلم، لكن الملاحظ أنهم يؤدون عباداتهم بكل إخلاص، ويختلف معهم الآخرون منذ اختلاف المسلمين بعد وفاة الرسول، فالغالبية العظمى اتبع أبا بكر، والذي قال عنها عمر: إنها بيعة فلته وقى الله الناس شرها، فمن عاد الي مثلها فاقتلوه.

وهذا قول لا أصل له بتاتا، ظهر لاحقا في العصر الحديث كما ظهر أن هناك مجموعة اتبعت عليا بن أبي طالب الذي نص عليه الرسول بتولي الخلافة بحديث: (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم انصر من نصره واخذل من خذله)، وهو حديث صحيح لا يدل عليه هذه المجموعة هي أساس الفاطميين أو الإسماعيلين وبالذات الفرقة السليمانية التي لم تبدل ولم تحرف، تعبد الله كما أمرها على لسان رسوله الكريم، ومن يعمل غير ذلك، ومن يقول غير ذلك، فلعنة الله عليه عدد ما حج مسلم وصام واعتمر.

تلك هي حركات فرقة الإسماعيلية، وقد رأينا كيف تشعبت، وأخذ الكثير منها اتجاها آخر عن المبادئ والأصول التي قامت عليها الفرقة في دعوتها الأولى، هذا مع وجود حركات أخرى تختلف في المسمى لكن جوهرها واحد مثل: (الغالية – الكسيانية – الراوندية –

البطحية – الجارودية – السبابية – السبئية – المفضلية – السريعية – البزيغية – الكاملية – المغيرية – الجناحية البيانية – المنصورية – الغمامية – الإمامية – التفويضية – الخطائية – المعمرية – الغرابية – الذبابية – الذمية – الإسحاقية – العلبانية – الرزاميةالمقنعية – الحسنية – النفسية – الحكمية – السالمية – الشيطانية – الزرارية – البدائية – المفوضة – اليونسية – الباقرية – الحاضرية – الناووسية – العمارية – المباركية – الشمطية - الخلفية – البرقعية – الجنابية).

وبعد فلا يمكن لأي مسلم يحب الله ورسوله أن يحكم على هذه الفرق بحركاتها المختلفة بالإسلام؛ فقد رأينا مدى الكفر والضلال بل الهوس العقلي الذي وصلوا إليه، ولا يمكن هنا أن ننكر أن للسياسة والشهرة والبحث عن المناصب والمكانة العالية بين الناس دورًا أساسيًا في ظهور تلك الحركات، ودليل ذلك هذا الخلاف الواسع الذي ظهر بين حركات الإسماعيلية مع مرور الوقت، حيث اختلفت الأهداف والغايات، فلم يكن الخلاف سياسيًا فقط بل وجدناه في العقيدة التي قامت عليها الفرقة في أول أمرها،ولكن الخطير في الأمر أنه بعد انتشار الفضائيات أخذت بعض هذه الفرق تنشر دعوتها عبر منابر إعلامية، تسعى إلى جذب أكبر عدد من المشاهدين خاصة في البلاد العربية، التي لم تكن تعلم عن هذه الفرق إلا في بطون الكتب.

ولذا أناشد المؤسسات الدينية، وعلى رأسها الأزهر الشريف، أن يتصدى بمنابر إعلامية مضادة، وبلغات مختلفة تشرح فساد هذه العقائد قبل أن ينجرف خلفها ضعاف الإيمان، حمى الله الإسلام والمجتمع المسلم من ضلال هذه الفرق.

١٣- المرجئة:

المرجئة من الفرق التي نشأت عقب ذاك الخلاف الذي حدث بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - وقد رأينا من قبل في بداية الكتاب كيف انقسم أتباع علي - رضي الله عنه - بسبب قبوله التحكيم إلى خوارج وشيعة، وذهب الخوارج إلى تكفير عليّ ومعاوية والقائلين بالتحكيم، والشيعة منهم من يقول بكفر أبي بكر وعمر وعثمان ومن ناصرهم، وكلاهما يكفر الأمويين ويلعنهم ويرى أنهم مبطلون.

كان هذا سبباً في ظهور جماعة كرهوا هذا النزاع وسلكوا طريقاً خاصاً حتى تنجلي الفكرة، فقالوا بإيمان الجميع، وإن كان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً، وحيث أننا لا نستطيع تعيين المصيب والمخطئ فلنرجئ أمرهم إلى الله، لأنهم جميعاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وسميت هذه الجماعة بالمرجئة.

ثم تدرج بحثهم في أمور دينية، فعرفوا الإيمان بأنه معرفة الله ورسوله، ثم غالت هذه الطائفة، وقالت: الإيمان: الاعتقاد بالقلب، والعمل لا أثر له مطلقاً، حتى قالوا العبارة المشهورة لهم: " لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة"، وقد ذابت هذه الفرقة بعد العصر الأموي.

وبالمقارنة بينها وبين الفرق السابقة نرى فرقة المرجئة بعيدة عن التطرف إلى حد ما؛ حيث لم تتجاوز في أمور العقيدة، أو تأويل النصوص بحسب ما يخدم هواها.

١٤- القدرية:

تعد القدرية من أوائل الفرق الإسلامية التي خالفت النهج الإسلامي الصحيح، وقد ظهرت في عهد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - واول من أسسها "غيلان القدري"، وقد قتله الخليفة هشام بن عبد الملك بصلبه على أبواب الشام.

ومن المعلوم أن بلاد العراق كانت تعج بالكثير من الأعراق والديانات المختلفة؛ فكانت البصرة بحرًا يموج بالآراء والنحل، وقد سمع معبد بن عبدالله الجهني، وكان ممن يجالس الحسن البصري، مَن يتعللون بالقدر، فقام بالرد عليهم نافيًا كون القدر سالبًا للاختيار، وتطرف في الدفاع حتى قال قولته المشهورة: "لا قدر والأمر أنف"، ولما بلغ هذا ابن عمر تبرأ منه ومن أصحابه.

وسُمي أصحاب هذا الرأي بالقدرية، وأساس عقيدتهم إنكار قدر الله، والمغالاة في إثبات القدرة للإنسان، وأنه حر الإرادة في أعماله، كما كان من مبادئهم القول بخلق القرآن، وقد ذابت القدرية كغيرها من المذاهب، ولم يعد لها وجود مستقل.

١٥- المعتزلة:

ونقف الآن عند فرقة المعتزلة، والتي أراها من أكثر الفرق التي تركت أثراً ملموسا عبر القرون التي تلتها خاصة في عصرنا الحاضر؛ حيث رأينا البعض يتخذ من العقل وحده وسيلة من أجل الحكم على العقائد الغيبية، وهذه الفرقة قد ذاع صيتها، وكثر أتباعها من الخلفاء والعامة إبان الخلافة الأموية حيث إن اسمها يدل على سبب نشأتها ألا وهى المعتزلة، وهي فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة أواخر العصر الأموي، وقد ازدهرت في العصر العباسي.

وقد نشأت هذه الفرقة بعد ذاك الموقف الذي حدث بين واصل بن عطاء وشيخه الحسن البصري في مجلسه العلمي في الحكم على مرتكب الكبيرة، وكان الحكم أنه مؤمن فاسق، وتقول الرواية أن واصل بن عطاء لم ترقه هذه العبارة وقال: هو في منزلة بين منزلتين، أي لا مؤمن ولا كافر.

وبسبب هذه الإجابة اعتزل مجلس الحسن البصري وكوّن لنفسه حلقة راسية وفق ما يفهم، ويقال حين ذاك أن الحسن البصري أطلق عبارة "اعتزلنا واصل".

اعتمدت المعتزلة على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بأنّ العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي.

ومن أشهر المعتزلة الجاحظ، والخليفة المأمون، ونجم الدين الرازي، وابن الراوندي الذي هاجمهم بعد أن فارقهم بكتاباته التي فسرت أحيانا على أنها إلحادية ورافضة للتدين بشكل عام، وإن كان هذا موضع سجال فكري إلى اليوم.

كما كان تأكيد المعتزلة على التوحيد وعلى العدل الاجتماعي أعطاهم أهمية كبرى لدى الناس في عصرٍ كثرت فيه المظالم الاجتماعية، وكثر فيه القول بتشبيه وتجسيم الذات الإلهية.

يعتقد أن أول ظهور للمعتزلة كان في البصرة، ثم انتشرت أفكارهم في مختلف مناطق الدولة الإسلامية: كخراسان، وترمذ، واليمن، والجزيرة العربية، والكوفة، وأرمينيا، إضافة إلى بغداد.

انطوى تراث المعتزلة لقرون، ولم يعرف عنه سوى من كتابات آخرين سواء من أشاروا إليهم عابرا أو من عارضوهم، إلى أن اكتشف مصادفة في اليمن قبل بضعة عقود أهم كتاب في مذهب الاعتزال وهو " المغني في أبواب التوحيد والعدل" للقاضي عبد الجبار.

عقائدهم:

بدأت المعتزلة بفكرة أو بعقيدة واحدة، ثم تطور خلافها فيما بعد، ولم يقف عند حدود تلك المسألة، بل تجاوزها ليشكل منظومة من العقائد والأفكار، والتي في مقدمتها الأصول الخمسة الشهيرة التي لا يعد معتزليا من لم يقل بها، ونبتدئ بذكر الأصول الخمسة:

١- التوحيد: ويعنون به إثبات وحدانية الله ونفي المِثل عنه، وأدرجوا تحته نفي صفات الله، فهم لا يصفون الله إلا بالسلوب، فيقولون عن الله: لا جوهر ولا عرض، ولا طويل ولا عريض، ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة، ولا بذي حرارة ولا برودة.. إلخ، أما الصفات الثبوتية كالعلم والقدرة فينفونها عن الله تحت حجة أن في إثباتها إثبات لقدمها، وإثبات قدمها إثبات لقديم غير الله، قالوا: ولو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الألوهية، فكان التوحيد عندهم مقتضيا نفي الصفات.

٢- العدل: ويعنون به قياس أحكام الله على ما يقتضيه العقل والحكمة، وبناء على ذلك نفوا أمورا وأوجبوا أخرى، فنفوا أن يكون الله خالقا لأفعال عباده، وقالوا: إن العباد هم الخالقون لأفعال أنفسهم إن خيرا وإن شرا، قال أبو محمد بن حزم:" قالت المعتزلة بأسرها حاشا ضرار بن عبد الله الغطفاني الكوفي ومن وافقه كحفص الفرد وكلثوم وأصحابه: إن جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكونهم في أقوالهم وأفعالهم وعقودهم لم يخلقها الله عز وجل ".[١]

وأوجبوا على الخالق الله فعل الأصلح لعباده، قال الشهرستاني:" اتفقوا - أي المعتزلة - على أن الله لا يفعل إلا الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد،

[١]- الفصل في الملل والأهواء والنحل ج (٤ / ١٤٦) .

وأما الأصلح ففي وجوبه عندهم خلاف، وسموا هذا النمط عدلا "، وقالوا أيضا بأن العقل مستقل بالتحسين والتقبيح، فما حسنه العقل كان حسنا، وما قبحه كان قبيحا، وأوجبوا الثواب على فعل ما استحسنه العقل، والعقاب على فعل ما استقبحه. [1]

٣- المنزلة بين المنزلتين: وهذا الأصل يوضح حكم الفاسق في الدنيا عند المعتزلة، وهي المسألة التي اختلف فيها واصل بن عطاء مع الحسن البصري، إذ يعتقد المعتزلة أنّ الفاسق في الدنيا لا يسمى مؤمنا بوجه من الوجوه، ولا يسمى كافرا بل هو في منزلة بين هاتين المنزلتين، فإن تاب رجع إلى إيمانه، وإن مات مصرًا على فسقه كان من المخلدين في عذاب جهنم.

٤- الوعد والوعيد: والمقصود به إنفاذ الوعيد في الآخرة على أصحاب الكبائر، وأن الله لا يقبل فيهم شفاعة، ولا يخرج أحدا منهم من النار، فهم كفار خارجون عن الملة مخلدون في نار جهنم، قال الشهرستاني: " واتفقوا - أي المعتزلة - على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا". [2]

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهذا الأصل يوضح موقف المعتزلة من أصحاب الكبائر سواء أكانوا حكاما أم محكومين، قال الإمام الأشعري في المقالات:" وأجمعت المعتزلة إلا الأصم على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع الإمكان والقدرة باللسان واليد والسيف كيف قدروا على ذلك"، فهم يرون قتال أئمة الجور لمجرد فسقهم، ووجوب الخروج عليهم عند القدرة على ذلك، وغلبة الظن بحصول الغلبة وإزالة المنكر.

---

[1]- الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٤٥) .
[2]- السابق .

هذه هي أصول المعتزلة الخمسة التي اتفقوا عليها، وهناك عقائد أخرى للمعتزلة منها ما هو محل اتفاق بينهم، ومنها ما اختلفوا فيه، فمن تلك العقائد:

٦- نفيهم رؤية الله عز وجل: حيث أجمعت المعتزلة على أن الله لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، قالوا لأن في إثبات الرؤية إثبات الجهة لله، وهو منزه عن الجهة والمكان، وتأولوا قول القرآن:" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " [١]، أي منتظرة .

٧- قولهم بأن القرآن مخلوق: وقالوا إن الله كلم موسى بكلام أحدثه في الشجرة.

٨ - نفيهم علو الله: وتأولوا الاستواء في قول القرآن : " الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ " [٢] ، بالاستيلاء .

٩- نفيهم شفاعة النبي لأهل الكبائر من أمته، قال الإمام الأشعري في المقالات: " واختلفوا في شفاعة رسول الله هل هي لأهل الكبائر فأنكرت المعتزلة ذلك وقالت بإبطاله" [٣].

١٠- نفيهم كرامات الأولياء، قالوا لو ثبتت كرامات الأولياء لاشتبه الولي بالنبي

تلك هي بإيجاز ما روته المصادر عن فرقة المعتزلة، والحق أنه من الظلم أن نصدر عليهم حكماً يوازي الحكم الذي أصدرناه على الخوارج أو الشيعة بحركاتها المختلفة، وإنما يكفي القول بفساد معتقدهم دون أن نخرجهم عن ملة الإسلام.

---

[١]- سورة القيامة الآيات (٢٢ / ٣٢) .
[٢]- سورة طه آية (٥) .
[٣]- مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين ، اعتنى بتصحيحه هلموت ريتر (١ / ٢٧٨) .

١٥- الجبرية (الجهمية):

من الفرق الإسلامية التي ترجع نسبتها إلى جهم بن صفوان وهو من خراسان ومن الموالي الذين أقاموا بالكوفة، وقد تكون منه ومن أتباعه فرقة الجبرية، القائلين بأن الإنسان مجبور كالريشة في الهواء.

وهم أصناف فهناك الجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، والجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرًا ما في العقل وسمي ذلك كسبا فليس بجبري، والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والأحداث استقلالا جبريا، وقد عدوا النجارية والضرارية والكلامية من الصفاتية والأشعرية جبرية.

عقائدهم:

القول بنفي صفات الله تعالى حتى لا يشبه الناس، وخلق القرآن، وإنكار رؤية الله في الآخرة، وفناء الجنة والنار بعد نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، وقد نهض كثير من العلماء للرد عليهم لأمرين:

الأول: مسألة الجبر؛ لأنها تدعو إلى التعطيل وترك العمل والركون إلى القدر، لأن الإنسان لا عمل له ولا قدرة.

الآخر: مسألة المغالاة في تأويل الآيات التي تثبت صفات الله، وفي هذا التأويل خطر على القرآن وتفهم معانيه.

١٦- أهل السنة والجماعة:

نقف الآن مع مَن ننتسب إليهم، ونشرف بالسير على نهجهم، ونتمسك دوماً بصحة أقوالهم، إنهم أهل السنة الذين تصدوا للدفاع عن العقيدة الصحيحة، وقاموا بحمايتها من كل فكرٍ متطرفٍ يتنافى مع ما ورد ذكره في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

فأهل السنة هم أكبر طائفة إسلامية، ومصادر التشريع السني هي القرآن الكريم وسنة نبي الإسلام محمد– صلى الله عليه وسلم - المتمثلة في الأحاديث النبوية المنسوبة إليه، ويأخذون الفقه عن الأئمة الأربعة، ويقرون بصحة خلافة الخلفاء الأربعة الأوائل: أبو بكر،وعمر،وعثمان،وعلي – رضوان الله عليهم - ويؤمنون بعدالة كل الصحابة.

وتعود نشأة أهل السنة إلى بداية الإسلام، وخاصة بعد وفاة النبي محمد - صلى الله عليه و سلم - حيث اجتهد صحابته وأتباعه والمسلمين عامة في تطبيق أقواله وأفعاله.

ومع انتشار الإسلام وتوسعه وتعرضه للكثير من القضايا الجديدة الدينية والتشريعية فضلا عن ظهور بعض الفرق والحركات التي حملت فكراً وعقيدةً تتنافى مع العقيدة الصحيحة، لأجل ذلك كانت هناك حاجة ملحة للخروج باجتهادات لهذه القضايا الفقهية المستجدة، وتلبية حاجات الناس، والإجابة عن تساؤلاتهم، ومن هنا نشأت جماعة من المتفقهين المتبحرين في الدين، ومن هؤلاء فرقة الأشاعرة.

١٧- الأشاعرة:

تعد الأشاعرة من مدارس أهل السنة والجماعة، وترجع نسبتها الى أبي الحسن الأشعري الذي أسس المدرسة الأشعرية إلى تاريخ اهتمام أئمة السلف بعلم الكلام، واستخدامه في مواجهة الفرق التي اعتبروها مخالفة، ويعدّون الإمام أبو حنيفة النعمان هو المؤسس الحقيقي للمنهج الذي يسيرون عليه، ومن بعده أئمة آخرون: كالشافعي، وابن كلاّب، والبخاري.

وكان التأطير الكبير لمنهج الأشاعرة في مواجهة المعتزلة على يد أبي الحسن الأشعري الذي يعد أبرز متكلمي أهل الحديث، حيث إنّ أبا الحسن الأشعري كان معتزليا يأخذ المذهب عن الجبّائي، وما لبث أنْ عارض شيخه، ورجع لمنهج أئمة السلف ومنهم أبو حنيفة النعمان والشافعي وغيرهما من متكلمي أهل الحديث كعبد الله بن كلاّب، وأبي العباس القلانسي، والحارث بن أسد المحاسبي في الانتصار بالأساليب الكلامية لعقائد السلف أهل السنة، خصوصا في المسائل المتعلقة بخلق القرآن، والقضاء والقدر.

وورد أنّ أبا الحسن الأشعري اعتزل الناس مدة خمسة عشر يوما، وتفرغ في بيته للبحث والمطالعة، ثم خرج إلى الناس في المسجد الجامع، وأخبرهم أنه انخلع مما كان يعتقده المعتزلة، كما ينخلع من ثوبه، ثم خلع ثوبا كان عليه ورمى بكتبه الجديدة للناس، فكسب بذلك تأييد العديد من الناس، وكثر أنصاره ومؤيدوه من حكام وعلماء، ولقّبه بعض أهل عصره بإمام السنة والجماعة.

عقائد الأشاعرة:

الأشعرية مدرسة سنية، تكاد تكون مطابقة لعقائد المدارس الأخرى المنتسبة للسنة إلا في مسائل قليلة بسبب اختلاف منهج التلقي والاستدلال، واتبعت الأشعرية منهجًا كلاميًا في الحالات.

استدل الأشعري على العقائد بالنقل والعقل، فيثبت ما ورد في الكتاب والسنة من أوصاف الله، والاعتقاد برسله، واليوم الآخر، والملائكة، والحساب، والعقاب والثواب، ويستدل بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية على صدق ما جاء في الكتاب والسنة بعد أن أوجب التصديق بها كما هي نقلاً.

فهو لا يتخذ من العقل حَكَما على النصوص ليؤولها أو يمضي ظاهرها، بل يتخذ العقل خادما لظواهر النصوص يؤيدها، وقد استعان في سبيل ذلك بقضايا فلسفية ومسائل عقلية، خاض فيها الفلاسفة وسلكها المناطقة، والسبب في سلوكه ذلك المسلك العقلي:

أنه كان منتسبا إلى المعتزلة، فاختار طريقتهم في الاستدلال لعقائد القرآن، وهو مسلك المناطقة والفلاسفة، ولم يسلك طريقتهم في فهم نصوص القرآن والحديث.

كما أنه تصدّى للردّ على المعتزلة ومعارضتهم فتبع طريقتهم في الاستدلال؛ ليقطع حجتهم ويفحمهم بما في أيديهم، ويرد حجتهم عليهم.

وأنه تصدّى للردّ على الفلاسفة، والقرامطة، والباطنية وغيرهم، وكثير هؤلاء لا يقنع إلاّ بالأقيسة المنطقية، ومنهم فلاسفة لا يقطعهم إلا دليل العقل.

قال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: " اعلم أنّ أبا الحسن لم يبدع رأياً ولم ينشئ مذهباً، وإنما هو مقرّر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به فى ذلك السالك سبيله فى الدلائل يسمى أشعرياً" . ([1])

[1]- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (٣ / ٣٦٥) .

١٨- الماتريدية:

ومن الفرق التي تنتسب إلى أهل السنة والجماعة، وتعد مدرسة فكرية إسلامية، تمثل أتباع أبي منصور الماتريدي، وهي إحدى فرق الكلام ضمن الإسلام السني التقليدي، ولا تختلف بشكل عام عن المدرسة الأشعرية إلا في بعض القضايا البسيطة، وأحد أشهر الكتب الماتريدية هو متن العقيدة المشهور بمتن العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي الحنفي، ويتبع الكثير من علماء الماتريدية المذهب الفقهي الحنفي في حين يغلب على الأشاعرة المذهب الفقهي الشافعي والمالكي.

١٩- الظاهرية:

تعد الظاهرية من المدارس الفكرية التي تنتمي إلى أهل السنة، وترجع نسبتها إلى داوود بن علي الظاهري في منتصف القرن الثالث الهجري، وقد تزعمهم وأظهر شأنهم وأمرهم الإمام علي بن حزم الأندلسي، وتعد بعض المصادر أن الظاهرية هو المذهب السني الخامس.

وتقوم المدرسة الظاهرية على المناداة بالتمسك وفق رؤيتها بالقرآن الذي هو كلام الله، وسنة الرسول، وإجماع الصحابة، وطرح كل ما عدا ذلك من الأمور التي تعتبرها ظنية (كالرأي والقياس والاستحسان ومصالح مرسلة وسد الذرائع وشرع من قبلنا...).

والمُلاحظ في أغلب أعمدة المذهب، كالإمام علي بن حزم الأندلسي وغيره أنهم يثبتون ذلك في كتبهم الأصولية، ومع ذلك يستدلون بما يشبه القياس عند الفقهاء، لكنهم لا يعدون ذلك قياسًا، وإنما دلالة من النص.

فالظاهرية تسعى لتقرير مراد الله من العباد في اتباع البراهين، وهي الأدلة الثابتة من كتاب الله والسنة وإجماع الصحابة، فإثبات القياس بالنص ليس كإثبات القياس بالمعنى قطعا، بحسب وجهة نظرهم، فهو دلالة معنى النص، ومما يتميز به الظاهرية الاهتمام الشديد بالنصوص حرفيا دون الاستعانة بالأدلة العقلية.

٢٠- الأثرية:

أهل الحديث أو أهل الأثر هي إحدى المدارس السنية الإسلامية التي تميزت بالاهتمام بالحديث النبوي، والتي تبلورت في صدر الإسلام على يد علماء الحديث.

ولما سئل الإمام أحمد بن حنبل عن الجماعة قال: " إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم " .([1])

ويقول محمد عبد الهادي المصري: هم الذين يعتنون بحديث محمد رواية ودراية، باذلين جهدهم على مدارسة أحاديث النبي وروايتها واتباع ما فيها علماً وعملاً، ملتزمين بالسنة مجانبين للبدعة، متميزين عن أهل الأهواء الذين يقدمون مقالات الضلالة على أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ([2]).

والتسمية بأهل الحديث أو أهل السنة والجماعة نشأت على يد الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، وذلك حينما ظهرت فتنة خلق القرآن، فثبت فيها الإمام أحمد وأتباعه أصحاب الحديث، فارتبط المصطلحان أهل السنة والجماعة وأهل الحديث.

وأحمد بن حنبل هو إمام معتمد ومرجع أساسي عند كل أهل السنة والجماعة باختلاف مشاربهم، سواء أكانوا حنابلة أثرية أم مالكية وشافعية أشاعرة أم حنفية ماتردية، لكن هناك اختلاف بين المنتسبين لأهل السنة حول تفسير توجهات ابن حنبل، واختلافات أخرى حول صحة بعض الأقوال المنسوبة إليه، فبينما يرى الكثير من جماعة السلفية أن الإمام أحمد بن حنبل هو المؤسس الحقيقي لمنهجهم، وأن الإمام أحمد على خلاف حاد مع متكلمي أهل الحديث، وأن السلفية هم الاستمرار التاريخي لمنهج إمام أهل الحديث أحمد بن حنبل، في المقابل يرى بقية أهل السنة والجماعة وأغلبهم من الأشاعرة

---

[1]- فتح الباري (١٣ / ٣٥٩) .

[2]- ينظر محمد عبد الهادي المصري / أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ص (٣٠٧) .

والماتردية وجانب من الحنابلة بعدم صحة الكثير من النقولات التي رُويت عن الإمام أحمد بن حنبل، والتي اعتمد عليها السلفيون في تحديد معالم منهجهم، كما يرى هؤلاء أن نشأة أهل الحديث مرتبطة بنشأة أهل السنة، وأنّ المصطلحين استخدما في أحيان كثيرة للدلالة على العقيدة الجامعة للأثرية والأشاعرة والماتردية، ويرون أنّ الخلاف الذي حدث بين ابن حنبل وبعض المتكلمين من أهل السنة، هو خلاف لا ينقص من صحة معتقد أحدهما.

وبعد فتلك هي مجموعة من الفرق الإسلامية التي ظهرت عقب وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – فمنها من اندثر، ومنها من بقي، ومنها من انطوى على نفسه، ومنها من سعى إلى نشر دعوته، وعلى كل حال فمعظمهم على ضلال؛ حيث أفسدوا في العقيدة، وبدلوا على حسب أهوائهم في الشريعة ، وما تقتضيه مصالحهم، وما ترتضيه منافعهم.

والذي أراه أنّ غالبية تلك الفرق لا يصح نسبيتها إلى الإسلام، فهو منهم براء؛ حيث إن هناك ثوابت وعقائد، لا ينبغي للمسلم أنْ يحيد عنها مهما اختلفت الظروف والعصور، لكن هؤلاء بدلوا وأفسدوا وحرفوا بما لا يدع مجالا للشك، والذي أراه أيضا أنّ الشيعة بكل فرقها هم الأشد خطرًا على عقيدتنا الصحيحة؛ فهم يضمرون بداخلهم غلًا وعداوةً لأهل السنة والجماعة، وربما أدى العامل السياسي والتاريخي والعرقي دورا بارزا في ترسيخ تلك الكراهية التي نلمسها على أرض الواقع في عصرنا الحاضر، وذلك من خلال ما يحدث في إيران والعراق واليمن ولبنان.